جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

"سيميائية الخطاب في رسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء وأبعاده الأيديولوجية"

إعداد

دكتور: محمد محمد أحمد السيد عطا

مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين
بالديدامون – شرقية

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

"سيميائية الخطاب في رسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء، وأبعاده الأيديولوجية"

محمد محمد أحمد السيد عطا

قسم: الأدب والنقد كلية: الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية جامعة الأزهر

المدينة: أبو كبير الدولة: جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: MohamedElsayed.sha.b@azhar.edu.eg

dr.mohamed٢٢٠٧٧١٥@gmail.com

ملخص البحث:

خَلصت هذه الدراسة إلى أنّ عنوان الرسائل قد حمَلَ بُعدا إشهاريا مُروّجا للنّص، كعنصر جذب فاعل في استمالة القارئ، وأحال على نصه من خلال الإحالة المزدوجة التي توسط فيها النسق المعرفي المُحال عليه في خلفية المُتلقي الدينية، كما اختزل النص، وفكّ شفرته، وتعالق معه على المستويات: اللفظية- والدلالية.

العلامة "رسول" في نص العنوان (النص الأصغر) تكررت على مستوى اللفظ، والدلالة داخل المتن، كصورة لتسرب العنوان إلى نصه، كما أن النص في بعض الأحيان ينقسم قسمين متكاملين يجسدان ثنائية: الاستقبال-الإبلاغ الكائنة في العلامة "رسول".

انطوى العنوان "محمد رسول الله" على عدة إحالات مزدوجة وأنساق معرفية وسيطة تداخلت بينه وبين المتن، فهو يحيل للآية "ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"، ويشكل لفظا "أحمد"، "محمد" مغايرة تحمل دلالة، توجه التأويل لجهة معينة، بحيث يستشف أن لفظ "أحمد" في الآية وصف لا اسما لعلم.

تشاكلت وحدات المتن مع العنوان على المستويات كلها، الصوتية، واللفظية، والدلالية، فنجد تكرار صوت "السين"، وتكرار لفظ "رسول"، وجملة "محمد رسول الله" بأكملها.

بالنظر في بنية المتن بعد تفكيكها وإعادة تركيبها في أنساق، اتّضح هيمنة صيغ المضارعة على بنية الأفعال كصورة للحركية، والتجدد والديمومة، التي يحيا بها النص، بينما قلت صيغ الأمر تخفيفا، وكذلك الجمل الشرطية.

على مستوى بنية الجمل هيمنت الجمل الفعلية أو الاسمية التي يكون خبر المبتدأ فيها جملة فعلية، كصورة لتدعيم افتراضية حركية النص، وفاعليته.

عملت آليات الاختزال وعلى رأسها الحذف عملها، بحيث جاءت الجمل خالية مما يمكن أن يُعد حشوا، أو زيادة غير مبررة، وقد تراوح الحذف بين حذف خاضع لمقاييس اللغة وقواعدها، وقابل للاستعادة من خلالها، وآخر يدخل ضمن المسكوت عنه ،الذي يستدل عليه بقرينة منطقية لا لغوية.

من خلال تفكيك النص وفصل النصوص المُضمّنة التي يتم التناص معها بدرجات بين تضمين جزئي، وكامل، كشفتُ عن الآيات القرآنية المُضمّنة، وحاولت تركيبها ،فحصلت تقريبا على النص ذاته، بمعنى أنه تم تشكيله من الوحدات القرآنية، بشيء من النشر، والترتيب؛ لينا سب طبيعة الرسالة ووظيفة أجزائها، وكان هذا تجسيدا مهمًّا لثنائية الإرسال والإبلاغ ،ودالا على تشبع النبي ﷺ بالنص القرآني، وصدوره عنه، واقتفائه على مستوى التعبير.

تمثلت آليات التوكيد في تكرار اللفظ، أو بحروف التأكيد، أو من خلال التناقض الدلالي المُبرز للمعنى، كما أضيفت بمقدار محسوب، وعملت عملها داخل النص، وأدت وظيفتها بشكل كامل.

اتّسمت الصور البيانية والمجاز بشكل عام بالنُدرة ،وجاء استعمالها باقتصاد ناسب اختصارية النص، فغلبت الكناية، تليها الاستعارة التصريحية بصورة خاطفة، والمجاز المرسل الرامز، وكان لطابع الرسالة الرسمي أثره في ندرة التصوير.

تحقق التنامي الدلالي من خلال بعض الآليات من منطلق أنَّ الدلالة تنمو بشكل متسق أو متساوق مع البنية، وتمثلت في آلية الإجمال والتفصيل ،والدينامية النّصية.

حملت نصوص الرسائل أبعادا أيدُيُولوجية مهمة، تمثلت في موقف الإسلام من الأديان الأخرى، ورسمت صورة لطبيعة تداخله مع أنساقها المعرفية، وآلية هذا التداخل.

عكس تحليل الخطاب في نصوص الرسائل على مستوى الدلالة المعجمية، والانفعالية سمة وسطية واضحة، تمثلت في القَصد(التكثيف الدلالي)، والاعتدال (حس اللفظ)، والتوازنية (ثنائية الألفاظ).

الخطاب في نصوص الرسائل يحمل أسس الخطاب الدعوي، ويرسم صورة واضحة لدور الداعية، وطبيعة الفعل الدعوي ،وفحواه، وأسلوبه.

الكلمات المفتاحية: السيميائية- الخطاب- الرسائل النبوية- العنوان- التشاكل- المتن- الأبعاد الأيديولوجية- الوسطية.

The semiotics of discourse in the messages of the Prophet (may God bless" him and grant him peace) to kings and princes and its ideological dimensions"

Mohamed Mohamed Ahmed El Sayed Atta

Section: Literature and Criticism.

Faculty: Islamic and Arabic Studies for Boys in Sharqia **Al-Azhar University. City:** Abu Kabir. **Country:** Arab Republic of Egypt.

E-mail MohamedElsayed.sha.b@azhar.edu.eg

dr.mohamed٢٢٠٧٧١٥@gmail.com

Research Summary

The study concluded that the title of the messages carried an advertising dimension that promoted the text, as an effective attraction to the reader, and referred to its text through double referral mediated by the cognitive pattern referred to it in the religious background of the recipient. : verbal and semantic.

The mark "messenger" in the text of the title (the smaller text) is repeated at the level of the pronunciation, and the significance is inside the text, as an image of the leakage of the title into its text, and the text is sometimes divided into two complementary parts that embody the duality: the reception-reporting located in the mark "messenger. The title "Muhammad is the Messenger of God" contained several double references and intermediate knowledge systems that overlapped between it and the text. It refers to the verse "and heralds a messenger who will come after me, whose name is Ahmad." So that it becomes clear that the word "Ahmad" in the verse is a description, not a name for knowledge.

The units of the text were similar to the title on all the phonetic, verbal, and semantic levels, so we find the sound of "Sin" repeated, the word "Messenger" repeated, and the entire sentence "Muhammad is the Messenger of God.

Looking at the structure of the text after its dismantling and re-combining in formats, it became clear the dominance of the present tense forms over the structure of verbs as a picture of mobility, renewal and permanence, in which the text lives, while the imperative formulas were reduced, as well as conditional sentences.

At the level of sentence structure, the phrasal or nominal sentences in which the subject of the subject is an actual sentence, as an image to support the hypothetical kinetics of the text, and its effectiveness, dominated.

The mechanisms of reduction, especially deletion, worked, so that the sentences came free from what could be considered a filler, or an unjustified increase, and the deletion ranged between deletion subject to language standards and rules, and recoverable through it, and another that falls within the silent, which is inferred by a logical presumption that does not linguistic.

By dismantling the text and separating the embedded texts that are intertwined with degrees between partial and complete inclusion, I revealed the included Qur'anic verses, and tried to synthesize them, and I almost got the text itself, meaning that it was formed from Qur'anic units, with some publication and arrangement; To fit the nature of the message and the functionality of its parts, and this was an important embodiment of the duality of transmission and reporting, and indicative of the Prophet's saturation with the Qur'anic text, its issuance, and its tracing at the level of expression.

Emphasis mechanisms were represented in the repetition of the pronunciation, or with letters of affirmation, or through the semantic contradiction that highlights the meaning, as it was added to a calculated amount, and worked its work within the text, and performed its function completely.

Graphic images and metaphors were generally characterized by scarcity, and their use came with an economy appropriate to the abbreviation of the text, so the metonymy prevailed, followed by the declarative metaphor in a cursory way, and the symbolic sent metaphor, and the character of the official message had its impact on the scarcity of photography.

The semantic growth was achieved through some mechanisms in the sense that the signification grows in a consistent or consistent manner with the structure, and was represented in the mechanism of summation and detail, and textual dynamism. The texts of the letters carried important ideological dimensions, represented in the position of Islam towards other religions, and painted a picture of the nature of its overlap with their cognitive systems, and the mechanism of this overlap.

Discourse analysis in the texts of messages at the level of lexical significance, and emotionality, reflected a clear middle characteristic, represented in intentionality (semantic intensification), moderation (sense of pronunciation), and equilibrium (bi-words)

Keywords: Semiotics - discourse - prophetic messages - title - morphology - text - ideological dimensions - moderation.

المقدمة

الحمد لله لا شريك له، جعل في الإسلام السّلامة، وعَقد له لواء السبق والإمامة، وأظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، النّاصحِ الأمينِ، والنذيرِ البشيرِ، والسِّراجِ المُنيرِ، حَضّنا على المعروف والرِّفق، وحرّر العباد من الرِّق، إلا لله ،وأوضح الحق وجَلّاه، وجعل من أمته السُّفراءَ الدُّعاة، يستنون بسنته، ويأثرون هُداه، عالِمين عامِلين، حتى يبلغ الأمرُ مداه، والزمانُ مُنتَهاه.

أمّا بعدُ:

فإنّ نصوص التُراث بمسيس الحاجة إلى قراءة جديدة، تنظر فيما وراءها من دلالة، وتعرضها عرضا عصريا، يتداخل مع أنساق المعرفة الحديثة، وتُخرجها من صمتها إلى الإعلان ،ومن الغموض إلى البيان، لاسيَّما وقد بات الإسلام عُرضة لحرب ضروس، أُلبِس فيها من الشبهات ما ليس فيه، وأُنطِق بغير لسانه ومعانيه، فكان لزاما أن ننهض على رأس رؤية جديدة، ترجع إلى الأصول، بالتحليل والدّرس، وتأخذ بمناهج الحداثة، وتُلامس المعاني وتُخضِرها؛ ليحيا القديم في الحديث، وتتضح الصورة، وينمو الوعي، وقد اخترت من نصوص التُراث ثماني رسائل من رسائلهﷺ إلى ملوك وأمراء عصره، يدعوهم إلى الإسلام بعد الحديبية، كأنموذج للخطاب الدعوي، محاولا مُقاربتها أو قراءتها وفق المنهج السيميائي، مُمتدا إلى أبعادها الأيديولوجية، في مقاربة عصرية أخرى، وإظهارا لملمح السماحة والوسطية في ديننا الحنيف .

هذا، وتعتبر المقاربات السيميائية وسيلة فعالة لفهم النصوص، من خلال آلية التفكيك بغرض إعادة التركيب، وهذا التفكيك لا يتم قسرا، ولا يُخلص منه إلى نتائج منفصلة، وإلا كان اجتزاء، وإخلالا بالنص ككل متفاعل، فالباحث إنَّما يتتبع العلامات ويرصد العلاقات على مستويات مختلفة، تُوجه التأويل، وترسو على شاطئ الدلالة، التي يكون استنطاقها، هدفا أساسيا للباحث، بحيث إذا توافرت مشيرات قوية في اتجاه ما فإن ذلك يمثل إضاءة يتجلى في حيزها التأويل، الذي يمضي في اتساقية مع النص.

ولا شك أنَّ وحدات النصّ البنائية تتآزر بحكم قوىٰ جاذبة، وفي مسارات منتظمة؛ لتعطينا في النهاية ذلك الكل المتجانس والوحدة الكبرىٰ، بداية من العنوان الذي يمثل نصا مختزلا دالا علىٰ نصه بحيث « تُختزن فيه بنيته أو دلالته أو كليهما في آن، وقد يضمّ العنوان الهدف من العمل ذاته »[1]، فالجهد الذي ينصرف أولا لفك شفرة العنوان بمثابة رصد للنواة أو الوحدات الأولية، التي تتكرر في نصه علىٰ مستويات مختلفة: لفظية.... ودلالية؛ إذ تتحرك القراءة من المُختزل إلىٰ المُفصّل، ومن الوحدة الأولية، إلىٰ البنية المُعقدة، أوالمتراكبة، في ضوء العنوان الكاشف .

ونظرا لما يمكن أن يعد اختزالا لفهم المعنىٰ، في كثير من الدراسات السيميائية التي تنظر للنص ككل مستقل، يتفاعل داخليا لإنتاج الدلالة من خلال القراءة، دون تلمُّس لأبعاده الفكرية، وطبيعة تماسه مع الأنساق المعرفية الأخرىٰ.

ولإهمال الكثير من الدرا سات السيميائية للجدلية التي تقوم بالضرورة بين النص وواقعه، فقد آثرت أن أتناول الرسائل علىٰ مستويين:

الأول: يتعلق برصد العلامات وطرق انتظامها والدلالة الكامنة وراءها، والثاني: يتعلق بالأبعاد الأيديولوجية للنص.

ففي المستوى الأول: تعرضت لسيميائية العنوان، والمتن بشيء من التفصيل؛ حيث بدأت بالعنوان الذي رأيت بشيء من المقاربة أنَّه نقش الختم وإن تأخر مكانا، باعتبار أنه الأثر الملحوظ، وأول ما يسترعي النظر، ولا ستيفائه شروط العنونة ووظائفها مستعرضا مستوياته بدءا من صورة الخط باعتبار الصورة علامة غير لغوية (تشكيلية) محملة بالدلالة، وقابلة للقراءة، ثم المستوىٰ المعجمي، والتركيبي، ثم أبعاد العنوان: كالإشهار، والإحالة، ثم مشاكلته للمتن ومظاهر تجسُّده داخل النص من خلال المشاكلة بأنواعها: اللفظية-النسقية-الدلالية.

---

(١)سيمياء العنوان، بسام قطوس، مكتبة كنانة-إربد-الأردن ،ط:١ ،د.ت، ص:٣٩ (بتصرف يسير).

ومن العتبة (العنوان) ولجت إلى المتن، متقصيا العلامات، والتعالقات على المستوى العمودي والأفقي، متعرضا للعلامات اللغوية، والبنى الصوتية والصرفية والتركيبية، وآليات الحذف، والتناص، والتوكيد، وطبيعة التصوير ودلالته مُركزا على رصد التواتر والتعالق الدلالي.

انتهاء بالنظر في هندسة النص كهيكل مجسد للونه الأدبي كرسالة ذات أجزاء وظيفية، تتصل من خلال التراكم النصي- وتتخللها مسارات تنسرب فيها الدلالة من خلال آليات التنامي الدلالي التي عرضت لاثنتين منها.

أما المستوى الثاني: الأبعاد الأيديولوجية للنص فتناولت فيه: موقف الإسلام من الديانات الأخرى، ووسطية الخطاب الدعوي في الرسائل النبوية كملمحين فكريّين بارزين ودلّلت عليهما فنيا من خلال النماذج.

وكان من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، ما يأتي:

أولا-القراءات الجديدة لنصوص على هذه الدرجة من الثراء الدلالي، ومحاولة فهمها، وتقريبها، فيه إثراء للباحث، وللدرس الأدبي، وتمثل إضافة أو إضاءة على جوانب مهمة تتعلق بتعاطي المسلم مع واقعه، واستلهامه لتراثه في فهم هذا الواقع.

ثانيا-تعد هذه الرسائل نصوصا تاريخية موثقة تحمل أبعادا مهمة، وتتضمن أسس تعامل الإسلام مع الآخر المخالف في الاعتقاد، وأسلوب الدعوة، التي اتّسمت بنصاعة الحقيقة، وسلامة المنطق، واحترام الاختلاف، وضمان حرية الاعتقاد بعد الإبلاغ والإشهاد.

ثالثا-مضمون الرسائل دليل على ملمح الوسطية في الدين الحنيف الذي لا يحفزه استعراض قوة، أو انتشار بسيف، فلا هو نزّاع للملوك عن عروشهم، ولا مجلي الناس عن أرضهم وممتلكهم، وإنَّما هو دعوة سمحة فيها فلاح الدارين، وحيازة الأجرين، ومعاملة بحسنى، وتآلف وتجاور، وعهد، وأمان.

الدراسات السابقة: تناولت الدراسات السابقة نصوص الرسائل من خلال منهج التحليل البلاغي التقليدي ومنها:

- رسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء: دراسة بلاغية، د. محمد مصطفى محمود ليلة، مجلة الزهراء، عدد: ٣٠.

مادة الدراسة:

تعد رسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء النماذج الأولى للرسائل السياسية في أدبنا العربي؛ إذ لم يعرف العرب في جاهليتهم هذا اللون من الفن؛ لعدم الحاجة إليه في مجتمعهم، وبظهور الإسلام كأول نظام سياسي جامع للعرب، نشأت الحاجة لمراسلة الكيانات السياسية الأخرى، ومكاتبة ملوكها.

وزمن هذه الرسائل بين سنة ست، وثمان للهجرة، بعد الحديبية، ونصوصها ثابتة، بلغت درجة الاستفاضة والموثوقية، وصنفت الكتب في جمعها وتوثيقها مثل كتاب: مجموعة الرسائل السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ومكاتيب الرسول وغيرها، وقد اعتمدت نصها الوارد في كتاب « عالمية الإسلام ورسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء »[1]، لما لمسته من جهد تحقيقي مُطَمئن، وأحلت على نصها في هذا الكتاب.

وقد اخترت منها ثماني رسائل، بيانها، ونصوصها كالتالي:

١-رسالتهﷺ إلى كِسْرَى[2]، ونصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبدالله ورسوله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتّبع الهدى، وآمَنَ بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإنّي رسول الله إلى الناس كافّة، لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين. فأَسْلِم تَسْلَمْ، فإنْ أَبَيْتَ، فإنّ عليك إثم المَجُوس. »[3]

---

(١)تأليف: عبد الوهاب طويلة، د .محمد حلواني ، دار القلم ، دمشق / د.ط، د.ت.

(٢)كسرى لقب ملوك الفرس، واسمه أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وهو كسرى الكبير الذي بنى الإيوان، وملك٤٨ عاما، قُتل بفارس سنة ٦٢٨م.ينظر:زاد المعاد، ابن القيم، ت: شعيب الأرناؤوط، ١٩٨٧م، ١/ ١٢١ ، د.ت.

(٣)عالمية الإسلام ورسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء، عبد الوهاب طويلة، د. محمد حلواني، ص:١٢٥.

٢-رسالته ﷺ إلى هِرَقْل(١)، ونصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبدالله ور سوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتّبع الهدى. أمّا بعد، فإني أدعوك بِدِعاية الإ سلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أجرك مرّتين، فإنْ تَوَلَّيْتَ، فَعليك إثمُ الأَرِيسِيِّين »(٢)، و « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»(٣)

٣-رسالته ﷺ إلى المُقَوقِس (٤)، ونصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبدالله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القِبط، سلامٌ على من اتّبع الهدى. أمّا بعد، فإني أدعوك بِدِعاية الإ سلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أجرك مرّتين، فإنْ تَوَلَّيْتَ، فَعليك إثمُ القِبط، و "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.»(٥)

٤-رسالته ﷺ إلى الحارث بن أبي شِمْرٍ الغَسّانِيّ (٦) (صاحب دمشق)، ونصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد ر سول الله، إلى الحارث بن أبي شِمْر، سلامٌ على من اتّبع الهدى. وآمَنَ بالله وصَدّقَ، فإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكُك. »(٧)

---

(١)ملك الروم، وهو قيصر الروم، إمبراطور بيزنطي من أسرة يونانية الأصل، كان يحكم إمبراطورية واسعة. ينظر: لسان العرب: هرقل، السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار الشروق-جدة-السعودية، ط١٩٨٩،١٢م، ص:٢٩١.

(٢)أتباع آريوس المصري الذي نادى بالتوحيد والتمييز بين الخالق والمخلوق، دانت بأفكاره طائفة من المسيحيين عُرفت بالآريُوسِيّة، والأريسيّين تعريبها. انظر: عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، هامش ص:١١٢.

(٣)عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، ، ص:١١٢.

(٤)لقب لكل من ملك الإسكندرية عاصمة مصر،والنائب العام للدولة البيزنطية، واسمه جريج بن مينا. ينظر: - البداية والنهاية، ابن كثير، ت: علي شري، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط:١ ،١٩٨٨م،٦/ ٤٩١،تفسير ابن كثير، ت:عبدالله عبدالمحسن تركي، دار هجر-الجيزة، ط:١، ١٩٩٧م،٤٩٢.

(٥)عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء،ص:١٣٣.

(٦)الحارث الأعرج بن أبي شمّر الغَسّاني، ملك الغساسنة، أقام بغوطة دمشق، كان نصرانيا تابعا في حكمه لقيصر الروم ،أدرك الإسلام، مات عام الفتح. ينظر: أنساب العرب، ابن حزم، دار الكتب العلمية-بيروت، ط:١٩٨٣،١م، ٣٧٤،الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط:١٥، ٢٠٠٢م، ٢/ ١٥٥.

(٧)عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، ص: ١٣٩.

٥- رسالتهﷺ إلى هَوْذَةَ بن عَلِيٍ الحَنَفِيّ[١] (أمير اليمامة)، ونصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد ر سول الله، إلى هوذة بن علي، سلام على من اتّبع الهدى، واعلم أنّ ديني سيظهر إلى منتهى الخُفّ والحافر، فأَسْلِم تَسْلَمْ، وأجعلُ لك ما تحت يديك. »[٢]

٦-رسالتهﷺ إلى المُنْذِر بن ساوَى[٣] (ملك البحرين)، ونصُّها:

« بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوَى، سلام على من اتّبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك إلى الإ سلام، فأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَسْلِم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أنّ ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر. »[٤]

٧-رسالتهﷺ إلى جَيْفَرٍ وعَبْدِ ابني الجُلَنْدَى (مَلِكَي عُمَان)[٥]، ونَصُّها:

« بســـم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبدالله، رســـول الله، إلى جَيْفَر وعبد ابني الجُلَنْدَى، سلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإ سلام، أَسْلِما تَسْلما، فإني ر سول الله إلى النّاس كافّة، لأنذر من كان حيًا، ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتُما بالإســـلام ولَّيتُكما، وإن أبيتما أن تُقرّا بالإسلام، فإنّ ملككما زائل عنكما، وخيلي تَحُلُّ بساحَتِكُما، وتظهرُ نبوّتي على مُلكِكُما»[٦]

---

(١)هَوْذَة بن علي بن ثُمامة بن عمرو الحنفي، كان ســـيدا من ســـادات العرب، وشـــاعر بني حنيفة وخطيبها، وكان نصرانيا. ينظر: الأعلام للزركلي ٨/ ١٠٢.

(٢)عالمية الإسلام ورسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء، ص: ١٤١.

(٣)المنذر بن ساوى بن الأخنس بن بيان بن عمرو العَبْدِي التّميمي الدّاري، عامل البحرين من قبل كسرى، أسلم، ومات قريبا من وفاة النبيﷺ. الإ صابة، ابن حجر، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخر، دار الكتب العلمية-بيروت، ط:١ ،١٩٩٥م، ٦/ ١٦٩-١٧٠.

(٤)عالمية الإسلام ورسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء، ص: ١٤٦.

(٥)جَيفر وعبد ابنا الجُلَنْدَى بن كركر بن المســـتكبر الأزديّين، مَلِكا عُمان من قِبل كســـرى، دعاهما النبيﷺ للإســـلام فأسلما. ينظر: الإصابة:١/ ٦٤٠.

(٦)عالمية الإسلام ورسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء، ص: ١٤٦.

٨-رسالته ﷺ إلى النجاشي الثاني[١]، ونصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، السلام على من اتّبع الهُدَى. أما بعد.، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله ،وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونَفْخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتوقن بالذي جاءني، فإني رسول الله. وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي. والسلام على من اتبّع الهُدَى. »[٢]

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة في شقها الأول منهج التحليل السيميائي في محاولة لرصد« العلاقات الدلالّية الكامنة بين الوحدات، وكشف العلاقات الدلالّية غير المرئّية، من خلال التجلي المباشر للواقعة، وتدريب العين على التقاط الضمنيّ والمتواري والمتمنّع، دون الاكتفاء بتسمية المناطق النصّية، أو التعبير عن مكّونات المتن »[٣]، مع تطعيم المنهج السيميائي بالمنهج التحليلي، والوصفي، وتجري عملية القراءة على مستويين:

مستوى عمودي: ينظر في الرسائل؛ لرصد تواتر العلامات، وطبيعة اتساقها على المستوى العام، أو في نص رسالة بعينه.

ومستوى أفقي: ينظر في رسالة بمفردها، أو جزء منها، وذلك حين يستدعى البحث نظرا في علاقة ما بين المتجاورات؛ وذلك بغية رصد مؤشرات على دلالة ما.

فإذا تكثفت هذه المؤشرات، فإنها تمثل سمتا بيانيا يشير إلى جهة من جهات المعنى، وقد تكون هذه المؤشرات تواترا لعلامة، أو تكرارا موحيا، أو انتظاما لعدة علامات بما يمثل إلحاحا على دلالة معينة مقصودة، وذلك على المستويات الظاهرة، والمُجردة، والمستنبطة.

---

(١)النجاشي لقب ملوك الحبشة، والنجاشي الثاني خلف النجاشي الأول الذي هاجر المسلمون في عهده الهجرتين وأسلم، أمّاخلفه فلم يُسلِم. وثمة خلاف على شخصه .انظر تفاصيل الخلاف زاد المعاد: ١/ ١١٦.

(٢)عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، ص: ٩٩-١٠٠.

(٣)السيميائيّات: مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، دار الحوار-اللاذقية-سوريا،ط:١، د.ت، ص:١٥ (بتصرف)

وفي الشق الثاني من الدراسة: اعتمدتُ المنهج التحليلي الوصفي إلى جانب المنهج السيميائي؛ لضمان اتصال شقي الدراسة بحيث يقوم الأول مقام الدّال، والثاني مقام المدلول، وحتى لا تنفصل الدراسة، بل تتكامل من الشقين، والمنهجين.

خطة الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث: المبحث الأول: سيميائية العنوان، وينقسم إلى مطلبين: مستويات العنوان- أبعاد العنوان، والثاني: سيميائية المتن وينقسم إلى سبعة مطالب: سيميائية العلامة المفردة - سيميائية البنية- سيميائية الحذف- سيميائية التناص- سيميائية الصورة- سيميائية التوكيد- هندسة النص وآليات التنامي الدلالي، والثالث: الأبعاد الأيدُيُولُوجيّة للنص، وينقسم إلى مطلبين: موقف الإسلام من الديانات الأخرى- وسطية الخطاب الدعوي في الرسائل النبوية.

- خاتمة: تناولت فيها أهم النتائج، والتوصيات التي توصلت إليها.

- وأردفت ذلك كله بثبتين: أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للمحتوى.

وبعد، أسأل الله تعالى القبول، وإسدال السُتور، فإنه لا كمال لمخلوق، ولا سداد إلا بتوفيق، له سبحانه الفضل والمِنّة، ومنه العطاء والنّجاء، فما كان من خير فهو من الله، وما كان من تقصير فمن نفسي ومن الشيطان.

محمد عطا
مدرس الأدب والنقد في كلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية

التمهيد

يتناول هذا التمهيد أهم المفاهيم المتعلقة بموضوع الدراسة، مع مدخل تقريبي مهم، يحاول فيه الباحث تقريب نقش خاتم الرسائل "محمد رسول اللهﷺ" كعنوان، بحيث تُقدم الدراسة قراءة أو مقاربة سيميائية لنصوص مُعنْونة.

١-نبذة عن السيميائية:

تعنى السيميائية في أعم التعريفات: علم العلامات.

وهي تعريب (سيميولوجيا) ،والبعض يجعلها تعريبا لـــ(سيميوطيقا)، ويفرق بين المسميين بأن الأول: يختص بالعلم ذاته، والثاني: يختص بالنظرية، والبعض يقول بالعكس.

وقد ولدت السيميائية أو السيميولوجيا على يد عالم الاجتماع واللغوي السويسري دي سوسير[1].

وهو أول من نظر للعلامة كمظهر ثقافي اجتماعي، وإليه يرجع مفهوم النظام السيميائي كنظام للعلامات، وهو أول من استخدم مصطلحات: الدال، المدلول المكافئ للفظ، المعنى ،فهو بمثابة أب للعلم المسمى بالسيميولوجيا.

وتعرف السيميولوجيا بأنها « العلم الذي يهتم بدراسة العلامات(الإشارات) دراسة منظمة ومنتظمة »[2] .

ويقصد بالعلامات أو الإشارات: الرموز، والصور، والمفاهيم، الأفكار.....

وقد تطورت سيميولوجيا دي سوسير على يد الفيلسوف الأمريكي تشالرز بيرس ،فطعّمها بأفكاره الفلسفية، جاعلا منها علما(سيميوطيقا) كالعلوم الرياضية، والفيزياء و.....

---

(١)فرديناند دي سوسير ،ولد في جنيف بسويسرا في ١٧ نوفمبر ١٨٥٧م ، من عائلة فرنسية بروستانتية، هاجرت من لوزان خلال الحروب الدينية الفرنسية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي إلى سويسرا، له شأن كبير في توجيه مسار العلوم الإنسانية وإحداث ثورة على المفاهيم القديمة والمناهج الكلاسيكية. ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، طبعة ديوان المطبوعات الجامعية الثانية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، ٢٠٠٥م. ص١١٨

(٢)دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي –المركز الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، ط: ٣، ٢٠٠٢ م،ص:١٧٧.

لينحصر الفرق بين المصطلحين في كون « السيميوطيقا تحيل إلى الفروع، أي إلى دراسة أنظمة العلامات المختلفة، كنظام اللغة والـ سينما والـ صور وغيرها، أما الـ سيميولوجيا فهي الهيكل النظري لعلم العلامات بصفة عامة ودون تخصيص لهذا النظام أو ذاك »[1] .

وعلى مستوى آلية العمل تعمل السيميائية على قراءة المسار النصي، بغية الوقوف على هندسة البناء، وطريقة رسم المعنى، ورصد شبكة العلاقات بين العلامات، وإظهارها من المُجرد إلى المحسوس المُعاين، كمظهر لملامسة المعنى.

وتفترض السيميائية أنَّ كلَّ نصٍّ يتكون بالضرورة من وحدات وظيفية، يؤدي تفكيكها للحصول على نسب كمية، ومن ثَمَّ يتم بناءها من جديد في هيكل نظري مُعد من قبل الباحث، الذي يكون حرا في وضعه واختياره، ومن خلال آليتي التفكيك والتركيب يتضح النمو البنائي للمعنى، أو الدلالة .

« فالسيميائية في إطار دراستها للخطاب ينصبّ جل اهتمامها على تتبع كيفية تولد المعاني ونموها عن طريق الانتقال من أصغر مستويات الدلالة إلى أكبرها مع مراعاة العلاقات التي تجمع بين عناصر الدلالة »[2]

ويقوم المنهج السيميائي على نوع من التوازنية تتمثل في كون القارئ شريكا أصيلا في إنتاج الدلالة جنبا إلى جنب مع المنشئ أو المؤلف، فالقراءة السيميائية هي محاولة لإنتاج الدلالة، وكل قراءة جديدة هي إنتاج جديد للنص، ولا تتجاهل السيميائية مسألة المرجعية الثقافية للعلامة، وهذا ما جعلها وسيلة مثلى لدراسة النصوص الأدبية وخلفياتها الثقافية.

---

(١) نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢، ٢٠١٠ م،ص:١٦٢(بتصرف يسير).

(٢) منطق السرد-دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، عبدالحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط،١٩٩٤م، ص:١٥.

٢-مفهوم الخطاب:

الخطاب هو صورة للتفاعل بين طرفين من خلال اللغة، التي تنشط لتجسيد المعنى، وإحداث الأثر المقصود، فالخطاب لا بد أن يحمل قيمة معينة، لإحداث تأثير معين، ويحمل الخطاب سمات مجتمعه، وملامحه الثقافية، وطرائقه التواصلية.

والخطاب عموما: « هو كل تلفظ يفترض متحدثا ومستمعا، تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال »[1] .

والرسائل النبوية المختارة صورة من صور الخطاب، زاد من فاعليتها كخطاب اتخاذها قالب الرسالة وهو قالب فني نثري موجز، ومؤثر، وحيوي على مستوى التفاعلية، والتواصل.

٣-الأيديولوجيا:

مفهوم معقد تراكمي يتكون من الكل المعرفي والتاريخي، ويحتوى على مفاهيم ضمنية، وسمات عامة؛ حيث تعرف الأيديولوجيا بأنها: « مجموع القيم والأخلاق والأهداف القريبة والبعيدة، ذات الطابع الإيجابي، والشمولية التي تضم النظرة إلى الكون والمجتمع والفرد، وتنطوي على أفكار وأعمال الأفراد والجماعات، وتعكس صورة للتعاطي مع المحيط الطبيعي، والدور التاريخي الذي يمر به الفرد والمجتمع ككل »[2]، وتحمل مضامين الرسائل هذه السمات، ويعتبر تقصيها من تمام الوقوف على دلالتها.

٤-مقاربة عصرية لنقش خاتم الرسائل كعنوان:

العنونة كأداة تحريرية لم تكن معروفة زمن هذه النصوص، كما أنَّ العنونة ليست شائعة في الرسائل إلى يومنا، إلا أنَّ الشروط الأساسية للعنونة كأداة تحريرية حديثة جاءت مستوفاة في نقش الختم، بأبعاد ومستويات مكتملة بالنظر إلى نصه، فالقارئ حين ينشط لعنونة نصوص هذه الرسائل، يجد نقش الختم أوفق العناوين، باعتبار العنوان من إنتاجية النص، والدلالة من إنتاجية القارئ.

ولا نعدم دليلا على أن الأقدمين كانوا يعرفون لونا بدائيا من ألوان العنونة يتصدّر تارة ويتأخر تارة أخرى، فكانت توضع الأختام المتضمنة لنقوش الهوية على الطين أو الشمع فيختم بها رق الرسالة، حتى إذا يبس أمسك بدفتيها، فلا يستطيع حاملها فتحها، والاطلاع على ما فيها،

---

(١)إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، محمد الباردي، مركز النشر الجامعي – تونس، د.ط، ٢٠٠٤م، ص:١.

(٢)مفهوم الإيدّيولوجيا، عبدالله العروي، ط:٨، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ٢٠١٢ م، ص:٩-١٢.(بتصرف).

ويستوثق القارئ كذلك، فإذا كانت الرسالة في رق منشور خُتمت في آخرها، ولفظة "خَتَمَ" كعلامة لغوية يحمل معنى التّصدُّر، والتأخر معا.

ومن الدلائل على وظيفية الختم ما نجده في الحديث الشريف : « لَمَّا أَرَادَ النبيُّﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ، قِيلَ له: إِنَّهُمْ لا يَقْرَؤُونَ كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكونَ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِن فِضَّةٍ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ في يَدِهِ، ونَقَشَ فيه مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّهِ »[1].

وهو ما يحمل ملامح وظيفية أولية للختم كمفتاح لقراءة النص، وإن كانت مقتصرة لديهم على جانب التعريف أو التعيين.

إلا أنَّ النقش هنا يتجاوز المعايير القديمة، ويحمل من الأبعاد والمستويات الدلالية، ما يتجاوز التعريف بالهوية، إلى الإشهار والإحالة، ويتعالق مع النص على المستويات كلها.

ومن خلال هذا المدخل التقريبي، تحاول هذه الدراسة تقديم قراءة لنصوص معنونة، مستندة إلى استيفاء نقش الختم لشروط العنونة ووظائفها المتمثلة في كون النقش:

١ – أثرا ملحوظا ظاهرا، ليس بتقدمه ،وإنما بظهور أثره، وأسبقية التلقي والتعرُّف، بوقوع العين عليه أولا.

٢– حمل « رسالة لغوية تعرف بهوية النص و تحدد مضمونه، وتجذب القارئ إليه »[2] .

٣– اختزل نصه، وتقاطع معه تقاطعات اتصالية ملحوظة، ودار النص في فضائه الدلالي.

٤– جاء تجسيدا للغاية من وراء النص، ومصوغا على الصورة اللفظية للمُراد من جهة المُخاطب، فالمُنشئ قد هيّأ وصدّر سبيل الإقرار لمُخاطَبه، وتجلّت غايته التي تتجاوز الإبلاغ ، إلى هداية السبيل، فمن قال: محمد رسول الله فقد دخل في دعوتهﷺ.

---

(١)صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، طبعة طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٩٣٨.

(٢)شعرية عنوان :كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد ٢٨ ،العدد الأول، يوليو / سبتمبر، ١٩٩٩م، ص٤٥٧.

المبحث الأول- سيميائية العنوان

العنوان رغم انفصاله عن النص في تموضعه المتقدم مكانا أو بملحوظية الأثر، هو دلالة مكتنزة من إنتاجية النص، يعلن فيها عن نفسه، وتتبلور فيه شفرة النص، التي يمكن على ضوئها تفكيك النص وإعادة تركيبه، في اتجاهات دالة؛ حيث يضبط العنوان إيقاعية الدلالة، ومساراتها.

كما يمكن للعنوان أن يلمس أبعادا بعيدة، في ومضة خاطفة، فهو قادر على استدعاء نصوص أخرى من خلال الإحالة المزدوجة التي ينقل بها القارئ إلى نص وسيط قبل إحالته على نصه.

وعبر التداخل مع أكثر من نسق معرفي في آن، يكتسب العنوان قوة وفاعلية، لا يمكن أن يوصف معها بأنه نص ساكن أو خامل.

والعنوان الذي نحن بصدده فريد في لونه، ويتجاوز آنية عصره بامتداد ملحوظ، فكون المُرسل أو المُنشئ رسول الله – صلى الله عليه و سلم–، فيه استدامة صفة، تخترق حجب الزمان، وتتطلع وراءها المخيلة في إكبار.

ولفرادة المُنشئ، وملكته التعبيرية الربانية متمثلة في جوامع كلمهﷺ، فقد انسابت الدلالة رشيقة، متهادية، لا يعرو متحريها ملل، أو يجد تناقضا، وفي الحديث: « ما كان رسولُ اللهِ – ﷺ – يسردُ سردَكم هذا؛ ولكنه كان يتكلم بكلامٍ بيِّنَه فصلٌ، يحفظه من جلس إليه »[1].

ونص العنوان أو نقش الختم مُغاير لنمط العنونة المألوفة في زمنه، وهذه المغايرة تعنى انتقاءً، مَعِينه النص القرآني.

فالعنوان: محمد رسول الله .

وحدة مقتبسة من النص القرآني، تتجاوز تعيين هوية المرسل، وتتداعى أصداؤها في جمل المتن، الذي يحيل إلى العنوان لا لا ستشعار تمام التعالق فقط، ولكن لكون العنوان مطلوبا على وجه الاستجابة لفحوى الدعوة المتضمنة في الرسائل.

---

(١)سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي–، ط: ٢، ١٩٧٥م،٢/ ٣٦٣٩.

وهذا في حد ذاته إعجاز، فإنك لا تستطيع أن تضع نصا ثم تعنونه بمنطوق من يقرؤه، مستجيبًا لفحواه.

فهنا حث للقارئ على إعادة إنتاج العنوان الذي يحمل لا خلاصة الدلالة فحسب، بل النشاط التفاعلي المتوقع للمستجيب، وفيما يلي عرض لمستويات العنوان وأبعاده في المطلبين التاليين:

المطلب الأول- مستويات العنوان:

يُقرأ العنوان أو النص الأصغر على مستويات بغرض استنطاق دلالته، التي تكون مكثفة ومختزلة، في محاولة لفك شفرته، وتحريك طاقته الكامنة، من خلال فهم طبيعة مفرداته، واتساقها كتركيب، كسبيل لفهم العلاقة بين العنوان والمتن، وفهم المتن ذاته، في ضوء الإ ضاءات والإيحاءات التي يحملها العنوان، وما يلفت إليه من مقاصد، وما يحيل عليه من خلفيات .

فالعنوان ليس عتبة أولى تسترعي النظر وتروج للقراءة وتكشف الهوية فقط، وإنما هو النص مختزلا أو مكثفا، ومنه تتنامي شبكة العلاقات الدلالية وتتفرع دون أن تجاوز مداره.

ويتضح نص الختم، العنوان فيما رواه البخاري، عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال : « كان نقش خَاتَمِ النَّبِيِّﷺ ثَلاَثَةَ أَسْطُرٍ: مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولُ سَطْرٌ، وَاللَّهِ سَطْرٌ »[1]،وهو ما أتعرض له على المستويات الآتية:

أ-مستوى صورة الخط:

تفسح السيميائية مجالا لقراءة العلامات غير اللغوية كالصور، ويعد نقش الخاتم صورة خطية أو تشكيل خطي حامل للدلالة على المستوى المُجرد، وقد كان فص خاتم النبيﷺ دائريا، فلم يكن بالإمكان تجاور المفردات، فجاءت على تشكيل بديع، كان مقصودا.

فقد ارتفع لفظ: الله ، وتلاه: رسول، ومحمد في نهايته.

ولا شك أن ارتفاع المكان يشي بارتفاع المكانة ،التي يبرزها ذلك التدرج الهرمي من أعلى إلى أسفل.

---

(١)صحيح البخاري، (٣١٠٦).

وهو في الحقيقة تدرج للسلطة التي يكون الله تعالى (المُرسل) في أعلاها، ويليه رسوله باختياره وسلطته.

كما يعكس تواضع المُرسِل الذي تأخر اسمه عند آخر درجة من درجات التشكيل، وآخر مستوى لقراءة العين.

ب-المستوى المعجمي(الدلالي):

مُحَمّد :اسم مفعول مُشتق من الفعل "حَمَّدَ" بمعنى « الذي كثرت خصاله المحمودة »[1]، وهو من أسمائهﷺ.

وفي الحديث:

إنَّ لي أَسْماءً، أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أَحْمَدُ، وأنا الماحِي الذي يَمْحُو اللهُ بيَ الكُفْرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ علَى قَدَمِي، وأنا العاقِبُ »[2].

رسول: تجمع لفظة رسول بين معنيين:

الأول: « الذي يتابع أخبار الذي بعثه »[3].

الثاني: صاحب الر سالة أو حاملها « قال أبو إ سحاق النحوي في قوله - عز وجل - حكاية عن مو سى وأخيه : فقولا إنا ر سول رب العالمين معناه إنا ر سالة رب العالمين أي : ذوا ر سالة رب العالمين »[4].

وهذا قد عنى من خلال علامة لغوية واحدة أنّ المُرسَل "ﷺ" مستقبل للإخبار الإلهي، ومُبلّغ لما يتلقاه.

وهذه الثنائية(مستقبل-مبلّغ) بمثابة وحدة دلالية رئيسة تَفُك شفرة العنوان.

---

(١)لسان العرب، لابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة السابعة، ٢٠١١م، حمد.

(٢)صحيح البخاري، (٤٨٩٦).

(٣)لسان العرب، رسل.

(٤)السابق.

وتفتح الباب لافتراض تشاكل النص معها على مستويات مختلفة، إضافة لكونها إضاءة كاشفة عن هوية الشخصية، و طبيعة حركتها، ودوافعها معا.

الله: علم على الذات الإلهية، « وأصله إلاه، على فِعال بمعنى مفعول؛ لأنه مألوه أي معبود، كقولنا إمام فعال بمعنى مفعول؛ لأنه مؤتم به، فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام »[1]، وكل معبود عند قومه إله، ولا يسمى الله إلا هو سبحانه فهي خاصة به.

ج-المستوى التركيبي (السياقي):

جاء النقش/ العنوان مكونا من:

مسند إليه :مبتدأ (اسم العلم: محمد)حيث غاية المنشئ الإفادة لا بيان الماهية.

مسند: الخبر المضاف إلى لفظ الجلالة (رسول الله)، والخبر صفة لازمة.

والإضافة في "رسول الله"، من باب الإضافة المعنوية المفيدة للتعريف.

ويتضح ذلك التوازن بين المسند إليه والمسند، فالأول: علم، والثاني: مضاف إلى علم أي: في رتبة العلم.

المطلب الثاني- أبعاد العنوان:

رغم اختزالية العنوان فإنَّه يحمل من الوظائف ما يتجاوز الإ شهار والترويج لن صه، فهو وإن كان مستقلا عن المتن، فإنه يتسرب إليه، ويتجسد فيه، بحيث يظل حاضرا في النص، وإلا لانتهى التعالق، ولـ صار العنوان عتبة صمّاء، تف ضي إلى البناء الن صي دون ات صال حقيقي، فالعنوان يحوي دلالة مكثفة، ويلمس أبعادا مختلفة، وهو ما أتتبعه في العناصر التالية:

أ-الإشهار:

يعتبر العنوان بمثابة المثير الأول الذي يجذب القارئ لاستكناه النص، بحيث يصبح عاملا ترويجيا ،ولافتة جذابة لنصه الكبير، وهذا الجذب لا يحدث إلا من خلال استمالة العقل والعاطفة، وجدة المطروح، دون أن يصل الأمر إلى الإلغاز أو السقوط في السطحية أو المباشرة، والعنوان هنا،

---

(١)السابق، أله.

يحمل ما هو أكبر من الإشـهار، عندما يصـدم القارئ خلال محاولته تبين العلاقة بين المسـند إليه والمسند ،وتسترعيه فرادة الصفة "رسول الله".

ب- الإحالة:

ينطوي العنوان على إحالة مزدوجة على النص من خلال نص آخر كامن في خلفية المتلقي الدينية، فالمُرسل لا يخبر في الحقيقة بجديد، وإنما يُحيل على قديم، ونص عنوانه حاث وفاعل في إنتاج الدلالة لدى المتلقي، ومرشد له في الوقوف على المدلول من خلال النص.

حيث يحيل العنوان على نصه من خلال نص ديني آخر؛ لأنهﷺ مذكور اسما وصفة في الكتب السابقة، ويعرفون أوان ظهوره، فلا يبقى إلا الإعلان والدعوة.

والمفترض أنَّه إذا كانت غاية المُرسل التعريف بهويته، والإحالة لما عند المتلقي من خلفية، أن يأتي بما يعيِّنُه تدّقيقا، وما يجده المُخاطَب إذا كان كتابيًا نصرانيًا في كتابه.

فالاسم الوارد في نص العنوان: مُحَمّد

والنص المُحال عليه في الإنجيل، وارد في قوله تعالى: « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ »[1].

وبمقارنة النصـين يتضـح أن التطابق بين العلامتين: محمد، أحمد باعتبارهما علمين مفقود، وهذا يوجه التأويل إلى فرضـية أنّ يكون لفظ "أحمد" بمعنى شـدة حمد الناس له فهذا مكافئ تماما للفظة: مُحَمّد، لا أن يكون أحمد في الآية: عَلَمًا عليهﷺ.

ج-تشاكل العنوان مع النص (المتن):

لا يمكن القول بأن العنوان هو العلامة الأبرز، أو النص الأصـغر الذي تغزل منه شـبكة العلاقات، وتمتد داخل المتن، وصولا إلى تشكل جملة المعنى، وتنامي الدلالة، دون أن يكون للعنوان تجسدات ملحوظة، داخل نصه، « فالعنوان باعتباره ملفوظا لغويا واصفا، يحيط بالنص ويتجاوزه، ويتلبسه »[2].

---

(١)سورة الصف، من الآية ٦.

(٢)الكشف عن المعنى في النص السردي :النظرية السيميائية السردية، جوزيف كورتيس، ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار السبيل، بن عكنون، الجزائر، د.ط، ٢٠٠٨م، ٢٦٥/ ٢٦٦(بتصرف يسير).

والعنوان حاضر داخل المتن من حيث الصـورة اللفظية، ومن حيث الدلالة التي تنمو ككرة الثلج شيئا فشيئا، وهذا الحضور مُعلن أحيانا، ومختبئ خلف الدلالة التي يسعى التأويل لاستنطاقها أحيانا أخرى، ويُقصد بالتشاكل « كل ما استوى من المقومات الظاهرة المعنى، والباطني المتجسدة في التعبير، أو في الصياغة الواردة في نسج الكلام »[1]، ويتجلى ذلك فيما يأتي:

التّشاكل اللفظي:

من حيث مشاكلة العنوان لنصه على مستوى تكرار المفردات وهو أقوى أنواع المشاكلة:

نرىً أن العنوان مُكرر بلفظه داخل المتن، حيث تبدأ الرسائل بعد البسملة، بتعيين المُرسل، "من محمد رسول الله "، عدا بعض الرسائل فيلي البسملة "من محمد عبدالله ورسوله".

وتعتبر الزيادة اللفظية التي لحقت بالعنوان المكرر داخل المتن، مغايرة تحمل دلالة متعلقة بواقع الحال في المجتمعات التي وجهت إلى زعمائها بتلك الصـيغة ،وفيها إشـارة إلى بعد ثقافي ميّز هذه المجتمعات، ربما كان عبادة الحاكم ،وهو ما نجده في الرسائل الموجهة إلى كسرى، وهرقل، والمقوقس.

التشاكل النسقي:

وفيه تكون المُشـاكلة لا بتكرار العلامة بل بتكرار النظام الذي تنتظم فيه العلامات الدالّة، وطريقة تركيبها، فالتشاكل النسقي وحدة أكبر من سابقه اللفظي، تتعلق بهيئة الأنساق، ويمكن أن نلحظ ذلك التشاكل بين:

هيئة نسق العنوان "محمد رسول الله": (اسم علم+ وصف مضاف إلى علم)، وبين هيئة أنساق بعض المخاطبين بالرسائل:

هرقل عظيم الروم(اسم علم+ وصف مضاف إلى علم).

كسرى عظيم فارس(اسم علم+ وصف مضاف إلى علم).

المقوقس عظيم القبط(اسم علم+ وصف مضاف إلى علم).

---

(١)معجم السيميائيات، فيصل الأحمر ،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط :١ ،٢٠١٠م، ص:٢٣٥.

وهذا التشاكل النسقي، يتضمن مغايرة تستدعي دلالتها تشاكل النسق، بحيث يقارن المتلقي كل لفظة برصيفتها، فالوصف "رسول الله" المضاف إلى لفظ الجلالة ،لا يخضع لآنية السلطة الزمنية، كالوصف "عظيم" المضاف إلى: "الروم-فارس-القبط".

وهو ما يعكس عالمية الرسالة ذاتها، بحيث يمكن أن نرى على المستوى المجرد انتظاما دلاليا مساره:

الله-الرسول- الناس (الروم-الفرس-القبط).

التشاكل الدلالي:

ينتج هذا التشاكل الدلالي من تكرار وحدة صغرى في متن العنوان تتضمن علاقة جدلية بين (دال، مدلول) على مستوى أكبر داخل المتن، فالوحدة الصغرى المتضمنة في العلامة "رسول" التي هي بمثابة حامل لثنائية (الاستقبال، الإبلاغ)، تتبلور دلاليا في صورة أكبر داخل المتن، وهو ما نجده في الرسالتين الموجهتين إلى: هرقل، والمقوقس.

حيث يبدأ المتن بعرض بلفظ الرسولﷺ، ينتهي بآية قرآنية مُضمّنة تحمل ذات المعنى.

لتنعقد علاقة جدلية(دال، مدلول) بين النصين: لفظ الرسول، الآية القرآنية.

فالمُرسل رسول الله وترجمانه، والرسالة لله ببيانه، وكلاهما يحيل على الآخر، بحيث يمكن رصد شبكة علاقات ثرية بين العنوان (دال، مدلول) نصي.

وهذا من شأنه تكثيف الدلالة ،كما أنه يمنح النص تكاملا بنائيا عاليا، ويحيل القارئ إلى العنوان، ويضمن وقوفه على الدلالة المقصودة، فضلا عن الإحالة على النص القرآني، ومضمونه، وتحفيز القارئ على تقصي الرابط الدلالي بينهم.

والآية المُضَمّنة في نص رسالتهﷺ إلى هرقل والمقوقس وهما من أهل الكتاب، على أعلى درجة من الاختيار والتوظيف، الذي يكفل الانسجام النصي، فلا تنبو، بل تقع متمكنّة غير مضطربة، دونما فجوة سياقية، أو استشعار للانتقال من نص لآخر، ونص الآية كاملة:

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »[1].

والوارد حذفت فيه لفظة "قُلَ"، وَوُصِلَ نص الآية " ويا أهل الكتاب ....."

ويستدعي رصد التعالق بين الآية وما سبقها، نظرا في مستويات التشاكل على مستوى اللفظ، والاتصال الدلالي، انتهاء باستخلاص المستويات المُجردة، أو خط انتظام العلامات، وهو ما أستعرضه فيما يأتي:

التشاكل اللفظي:

يعتبر هذا اللون من التشاكل رابط اتصال، وسمة تعالق قوية بين نصين، يتسرب أحدهما إلى الآخر، ويتجسد فيه بصورة لفظية واضحة، تلحظها العين، وتقف عليها؛ حيث نرى تكرارا للألفاظ على مستوى القرابة الاشتقاقية، وعلى مستوى التكرار الكامل للفظ بعينه، بحيث يمكن تصور مرآة عاكسة بين النصين.

فمن التكرار الاشتقاقي "عبد ، نعبد ""توليت، تولوا"، "أسلم-تسلم ، مسلمون".

ويسترعينا ذلك التكرار المتوازن للفظ الجلالة في النصين: الأصلي، والمُضمّن، مرّتين مرّتين.

الاتصال الدلالي:

يكون الاتصال الدلالي بمعنى (التماسك الدلالي أو النّصّيّة) أمرا ضروريا خاصة في ظل حضور النصوص المُضمّنة، وبَدَهِيًا فإنه إذا فقدت الدلالة مسارها فُقد الاتصال، ومن كمال هذا الاتصال أن يأتي أحد النصين مُفصلا أو مفسرا لسابقه ،ويتضح الاتصال الدلالي فيما يأتي:

في رسائله ﷺ إلى هرقل، والمقوقس تأتي الدعوة للإسلام مختزلة دون بيان لأركانها "أدعوك بدعاية الإسلام..."

وهو ما يفصله نص الآية" أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ " (٢)

---

(١)سورة آل عمران، ٦٤

(٢)من الآية:٦٤، سورة آل عمران.

مع التعريض بعبادتهم للمسيح وهو بشر كسائر البشر "بعضنا بعضا"؛ حيث تساوَىٰ العلامتين يعكس دلالة تساوَىٰ المنزلة.

علىٰ حين نجد تفصيلا في النص الأصلي ببيان البشارة "تَسَلَّمْ، يُؤتك الله أجرك مرّتين" والنذارة "عليك إثم...."

يختزله نص الآية أبدع اختزال:

حيث اختزل البشارة في قوله "كلمة سواء" والسواء الاعتدال ،والقصد المُبلّغ للسلامة، واختزل النذارة في قوله" اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ".

وفي الإشهاد إيذان بانصراف ،وإنذار بخسران، مع إبطال حجة الخصم.

وهكذا نجد النصين يتعاضدان دلاليا في تكاملية بديعة، بحيث يكون كل منهما دالا ومدلولا في حين، ويدوران معا في فضاء العنوان فيجمعان لفظ الله ورسوله، ويجسدان ثنائية الاستقبال-الإبلاغ الكامنة في العنوان.

من خلال ما سبق يتبين قيام العنوان كمفتاح للنص بوظيفة الترويج والإشهار للمتن، هذا الإشهار الذي يتحقق من خلال صدم المتلقي بفرادة المضمون، فالعنوان قد تجاوز تعيين هوية المُرسل فلم يأت تعريفا بزعيم أو ملك، وإنما بنبيّ ،تشير إليه نصوص في خلفية المتلقي اسما وصفة، فاندمج الإشهار بلون من الإحالة المزدوجة التي استحضرت نصا وسيطا أحال عليه العنوان قبل إحالته علىٰ المتن، ومن تمام التعالق بين العنوان ومتنه ما رأيناه من تشاكل علىٰ مستوىٰ اللفظ، والنّسق ،وتكرار للوحدة الدلالية الرئيسة في العنوان داخل المتن، الذي تسرب إليه العنوان بلفظه، ومعناه تسرُّبا رشيقا ،كما يُلاحظ تعقد شبكة العلاقات الممتدة من العنوان إلىٰ المتن انعكاسا لذلك التعالق، حين ينقسم المتن ذاته إلىٰ وحدتين متواشجتين كدال ومدلول ،وكصورة لتكرار الوحدة الرئيسة في نص العنوان ،والمُتضمنة في العلامة "رسول" حامل ثنائية(الاستقبال-الإبلاغ) في تآزرية لافتة.

المبحث الثاني- سيميائية المتن

الولوج من عتبة النص (العنوان) بعد فك شفرته، و سبر أبعاده ،واستلهام إضاءته إلى العمق (المتن) فهو لب القراءة السيميائية، حين يصبح اصطياد الكلمة المحورية أو الوحدة الدلالية الأم القابعة في متن العنوان ،بمثابة إضاءة ذهبية كاشفة لدهاليز المتن، ودافعا لبناء عدة افتراضات لانتظام العلاقات بداخله، وطبيعة هذا الانتظام ودلالته؛ حيث تتضمن وحدات النص نوعا من التكرار للوحدة الدلالية الأولية الكامنة في العنوان، ويتم ذلك على نطاق بنائي أوسع، وعلى مستويات: صوتية- لفظية- دلالية.

كما تتوزع وحدات النص في نظام من العلاقات المتشابكة، والمتآزرة، تتطلب فحصا دقيقا على المستويات كافة، بغية تفكيكها انطلاقا لإعادة تركيب النص مرة أخرى، وهو مغزى القراءة، مع إمعان النظر؛ لاستبانة الدلالة المختبئة، وإطلاق الإيحاءات من مكامنها، وهو ما أعرض له فيما يأتي من مطالب:

المطلب الأول- سيميائية العلامة المفردة:

تحمل العلامة المفردة دلالة كامنة في معناها، وهو معنى قابل للتغير بحكم السياق، وتأثير القوى العاملة فيه، ويتطلب الوقوف على دلالة العلامة بحثا في ماهية الكلمة والعلاقة التي تربطها بالمعنى وتأثير السياق عليه، فالمعنى ليس مجرد توصيف معجمي، وإلا كان اختزالا لدلالة العلامة، التي تنطوي على بعد تواصلي، يتصل بواقع اجتماعي ونفسي معين، والمفردات ترمي بظلال، وإيحاءات، وليست مجرد دوال حاملة للمعنى.

وتعد العلامات المفردة لبنات أولية يتشكل منها الخطاب، وهي بمثابة « عينة من اللغة التي تتوافر على تشكيل الخطاب وبنائه»(١)، كما أنها تنتمي من حيث الدلالة إلى حقول دلالية تضم « الكلمات المتقاربة ذات الملامح الدلالية المشتركة»(٢).

---

(١) أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، أحمد عزوز، منشورات اتحاد الكتاب -دمشق، د.ط، ٢٠٠٢م، ص:٩ (بتصرف).

(٢)أصول تراثية في علم اللغة، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ط:١ ،١٩٨٥م، ص٢٩٤.(بتصرف)

وفيما يأتي رصد لعينة من العلامات داخل حقولها الدلالية، بصورة بصرية تعكس وحدات المتن الأساسية، ومداراته الدلالية مع إلماح إلى انتقائيتها.

أسماء الله الحسنى:

الله-الرحمن-الرحيم.

الله: علم على الذات الإلهية، ورد في الافتتاح بالبسملة، وفي ركن الشهادة .

الرحمن: "اسم من أسماء الله -عزَّ وجلَّ- مذكور في الكتب الأول، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله، ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة"، وهو "الرحمن اسم ممتنع لا يسمى غير الله به"(١).

وورود العلامة "الرحمن" في الكتب الأُوَل، فيه لفت للمُخاطبين، ولمس لأنساقهم المعرفية، وإحالة على خلفيتهم الدينية، ولكونه ا سما ممتنعا لا يسمى غير الله به، قُدّم على العلامة "الرحيم" في تركيب البسملة.

الرحيم: صيغة مبالغة في العطف والرحمة.

التوحيد:

وحده-شريك.

العلامة "وحده" مفيدة للحصر اللفظي مانعة من الشرك.

شريك: مُشارك من: إله، أو ولد، أو وزير أو ولي من الذل.

الأجناس:

فارس-الروم-القبط

فارِس: الفُرس علم على جنس.

الرُّوم: اسم جنس معروف.

القِبْط: أهل مصر.

---

(١)لسان العرب، رحم.

والملحظ هنا العدول عن ذكر الطوائف الدينية فلم يقل: المجوس- النصارى؛ لكون الرسائل سياسية بالدرجة الأولى، تختص بولاة أمور ،لا بزعماء دينيين.

الدعوة:

أدعو- دُعاء- دِعاية.

أدعو: فعل الدعوة ويُسند إلى كاف الخطاب العائدة على المُخاطب بالرسالة "أدعوك".

دعاء ودِعاية بمعنى واحد: والدعاء: النداء، أو طلب الإقبال.

وطلب الداعي لإقبال المخاطب، فيه اهتمام، ونُصح، وخيرية؛ لأنَّ الدعوة تكون في أمر يُهم المدعُو، ولخير يعود عليه.

الاعتقاد:

اتّبع- آمن – صدّق.

اتّبع:" « تَبِعَ الشيءَ تَبَعاً وتَباعاً في الأَفعال وتَبِعْتُ الشيءَ تُبوعاً: سِرْت في إِثْرِه؛ واتَّبَعَه وأَتْبَعَه وتتَبَّعه قَفاه وتَطلَّبه مُتَّبعاً له »[1].

آمن: « الإيمان: بمعنى التصديق، ضدُّه التكذيب »[2]

صَدّق: حقّق، ووافق عمله قوله.

وتعكس العلامات الثلاث صورة لدلالة متدرجة: الاتباع طلبا للهداية-التصديق بالمخبر عنه-العمل به تحقيقا.

الجزاء:

أَجْر-إِثْم.

الأجر: الثواب.

---

(١)لسان العرب، تبع.

(٢)السابق، أمن.

الإثم: « الذَّنْبُ، أَن يعمَل ما لا يَحِلُّ له »[1].

ومن التّلطف العدول عن لفظة: عذاب أو عقاب ،إلى "إثم بمعنى: ذنب"؛ إذ الذنب بمظنة الاغتفار والتوبة أمّا العذاب فإذا أوذن به وقع.

التّمكين:

يَظْهَر-مُنْتَهَى.

يظهر: من الظهور وهو:« الظَّفَرُ بالشيء والاطلاع عليه »[2].

مُنْتَهَى: النهاية والغاية.

فالعلامتان قد جسدتا الغلبة وامتداد الرقعة.

ومن خلال الحقول الدلالية لمسنا تأشيرا على حضور عناصر: أسماء الله تعالى-توحيده عز وجل-الأجناس المَدعُوّة- الدعوة إلى الله-الاعتقاد وتدرجه-جزاء الاتباع أو الامتناع-تمكين الدين وظهوره.

كما لمسنا دقة العلامة ،ومدى انتقائيتها لتصبح بحق مرآة عاكسة للمعنى، الذي يظهر فيها بصورة مكثفة.

المطلب الثاني- سيميائية البنية:

تتصف البنية سواء كانت بنية صوتية أو صرفية أو تركيبية بـصفات تحمل الدلالة أو توجه التأويل إلى جهة معينة من المعنى، كما تمثل العلاقات التي تنعقد بين العلامات اللغوية، والوحدات البنائية بعامة، انتظاما دلاليا ومشيرا تقع الدلالة عند أطرافه، فنحن لا نرى الدلالة بصورة مباشرة، بل نرصد ما يبعث على إنتاجها، أو تشكلها، في أذهاننا من خلال الواقع النصي.

---

(١)السابق، أثم.

(٢)السابق، ظهر.

ويعتمد المحلل السيميائي « آلية تقوم على اختيار مجموعة من الألفاظ؛ ليبين ما تشير إليه وفقا لما تمليه العلاقات بينها »[1]، باعتبار البنية « هي ما يكشف عنها التحليل الداخلي لكل من العناصر والعلاقات القائمة بينها »[2] في محاولة لتتبع تشكيل الدلالة، والوقوف على المدلول، وهو ما أعرض له على المستويات البنائية الآتية:

أ-البنية الصوتية (التكرار الصوتي):

قبل تشكل المعاني ،ووضوح الدلالة، تسمع الأذن أصواتا ممتزجة، قد تتناغم، وتتناكر، فالصوت وحدة دالة، ومثير قوي يخاطب ملكات خفية في النفس، ويغذيها، وكثيرا ما نجد انسجام الأصوات، وتآلفها يؤثر في السامع دون أن يعرف معنى الكلام، وهو بلا شك يجد أثرا لهذا المعنى في الصوت المسموع، لما تحمله الأصوات من دلالة.

وللحروف أصوات، ولهذه الأصوات خصائص، ونسج الكلام لا يكون إلا من خلال تلك الأصوات، التي قد تثير شعورا بالحدة، أو اللين، وتكون نغمية، أو خشنة، ويكون تمام التأليف في انتقاء «عدة أصوات تنتمي إلى مجموعات صوتية مختلفة، محاكية الجو العام للنص، بما تتميز به من صفات صوتية كالجهر أو الهمس»[3]، وفيما يأتي رصد للتكرار الصوتي على المستويين العمودي، والأفقي التجاوري، ودلالة هذا التكرار.

-على المستوى العمودي:

نلحظ سيطرة صوتين:

الميم: وهو حرف مجهور، فيه زمّة نغمية، وفيه رخامة، ووقار.

السين: وهو حرف مهموس موسيقي، فيه جرس يقظ، وعذوبة.

---

(١)مناهج النقد الأدبي المعاصر: دراسة في الأصول والإشكالات النظرية والتطبيقية، د. صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة ، ط:١، ٢٠٠٨م، ص:٩٥٩.(بتصرف) .

(٢)النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط:٣، ١٩٨٥م، ص:١٢١.

(٣)إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي (مدخل لغوي أسلوبي)، د.محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-القاهرة، د.ط، ٢٠١٣م،ص:١٩.

وتواتر الصـوتين بهذا الحد الملحوظ يمنح النص عذوبة قدسـية، ووقارا، وانتظاما وسـلامة نغمية، بحيث لا تعروه خشونة، أو رخاوة، ويحمل دلالة الفخامة، واليقظة.

- **على المستوى الأفقي التجاوري:**

يكون تكرار الصـوت في حالة التجنيس، مؤشرا دلاليا ،يحمل وقعه الصـوتي معناه، أو يركز على جهة من المعنى، والتجنيس الوارد في أغلب نصوص هذه الرسائل تجنيس موح يدخل في صلب المعنى، وليس مجرد زينة لفظية، أو زخرف مادي، ومن أمثلة هذا التجنيس الموحي:

قوله: أَسْلِم، تَسْلَم .

حيث نلاحظ أنّ التجانس الصوتي والاشتقاقي بين اللفظتين، قد لمس أبعادا دلالية متعددة:

-توحيد المعنيين(الإسلام-السلامة) من خلال الصوتية المتقاربة.

-أوثق المعنيين بوثاق التخصيص بحيث لا تكون السلامة إلا في الإسلام.

-ظهر من خلال التجنيس أنَّ لفظة أسلِم قد مارست سلطتها في نحت اللفظة المجاورة بنفس الصوتية، كأنها أرادتها على صورتها، لذا لا تلمح في مثل هذا التجنيس تصنعا، بل نصاعة المنطق، وقوة الحقيقة.

وقوله: "أدعوك بدعاية الإسلام"، "وأدعوك بدعاء الله".

حيث نرى ذلك الاتصال الدلالي من خلال الجناس ،الذي يحمل ملامح دلالية تتمثل في كونه:

- ينشر ظلا سياقيا واحدا.

-يطفئ كل إضاءة للمعاني المغايرة، بحيث لا نرى إلا فعلا دعويا واحدا لدين واحد.

ب-البنية الصرفية للأفعال:

تعد الأفعال معيارا لقياس حركية النص، كما تمثل بنيتها الصرفية مظهرا خارجيا، منتجا للدلالة من خلال أقسامها الزمنية الوظيفية التي تدل على الحدث والزمن ، فمثلا يدل الماضي على البقاء، والثبوت، بينما يحمل المضارع دلالة: الآنية والاستمرار والتجدد، ويحمل الأمر دلالة (الطلب) بمقتضيات مختلفة تستشف من السياق.

كما أنَّ نوعية الحدث الذي تشـير إليه هذه الأفعال تحمل دلالة لا يمكن إغفالها، إضـافة إلى أوزانها الصرـفية التي تعكس الدلالة بشـكل مُجرد، ومن خلال القراءة العمودية لصـيغ الأفعال في الرسائل المختارة، يتبين:

بالنسبة لصيغ المضارعة:

- هيمنة صـيغ المضـارعة بأوزان "أفعل-يفعل-تفعل" "أدعوك-يُؤتك-أَشْـهد-أُنذر-تُؤْمِن- يَبقى- سيظهر- أجْعل".

والمضارعة هنا تتجاوز الآنية إلى الاستمرار والتجدد ،ويعكس اطّرادها حركية فاعلة في اتجاه الحث وخلق الدافعية.

- عكست أفعال المضارعة صورة لأحداث (الدعوة-الشهادة-الإنذار-الإيمان-الظهور-العطاء).

وهي الأحداث التي تتعلق بأحوال المُرسَل(الرسولﷺ)-والله سبحانه المُحاسِب-والمُتلقي المُخاطَب بالرسالة.

- جاءت الأفعال المضـارعة على أوزان "أفعل (الرسـول)-يفعل (الله تعالى)-تفعل (المُخاطب بالرسالة).

وهو ما يعكس الدلالة بشـكل مجرد، ويعد من مُشـاكلة النص لعنوانه على أكثر المسـتويات تجريدا، فالعلامة الأم في نص العنوان "رسول" تستدعي : مُرسِل- رسول- -مُرسل إليه.

صيغ الماضي:

- جاءت كميا في المستوى الثاني بعد أفعال المضارعة.

- تعلقت صـيغ الماضي "آمن-صـدّق-أبي" بالاعتقاد على مسـتوى الحدث، والانتهاء على مستوى الزمن.

- جاءت على أوزان فاعَلَ، أفْعَلَ -فَعّل-فَعَلَ.

ويستشف من ذلك:

– أنّ زمن الإيمان والتصـــديق والإباء مقيد، لا يحتاج لامتداد زمني؛ لأنّه إذا حدث انتهى زمنه، وبقي أثره.

– أنّ انقطاع الزمن يعكس تحولا يصير به المُخاطب بالدعوة مؤمنا أو مُصدّقا أو آبيا كافرا.

– أنّ أوزان الأفعال عكســت الدلالة على المســتوى المجرد فمجيء آمن على وزن :فاعَلَ– أفْعَلَ، صــدّق على وزن: فعّل، فيه زيادة مبنى دالّة على جُهد ولزوم من جهة الفاعل، بينما يأتي الفعل: أَبَى على وزن: فَعَلَ ،وهي الصورة الأولى البسيطة للاشتقاق وتعكس سطحية الحكم، وقلة التدبر.

صيغ الأمر:

أمّا فعل الأمر فيقل تواتره بدرجة ملحوظة ويتعلق بالترويج للقول :"اعلَم"، أو الدعوة: "أَسْلِم".

وفي ندرة ورود أفعال الأمر دلالة لا تخفى على تلطُّف المُخاطِب، فالأمر ثقيل على النفس فحَسُن التّأتي له من جهة التخفيف الذي وقع كما وكيفا.

ج -البنية التركيبية:

تتم عملية التواصــل بين المرســل والمتلقي من خلال الأداء اللغوي، الذي تمثل فيه الجمل وحدات أساسية في تشكيل الدلالة، ومن خلال النظر في طبيعة هذه الجمل تتضح الدلالة، ومقصود المُنشئ أو المرسل من الخطاب، بحيث تدل الجملة الاسمية على الثبات والاستقرار، وتعكس الجمل الفعلية حركية وفاعلية لغرض مقصود أيضا، بينما تعكس الجملة الشرطية جزاء مترتبا على الفعل، ومن خلال الاستقراء العمودي للرسائل المختارة يتبين ما يأتي:

بالنسبة للجملة الاسمية:

–جاءت الجملة الأساسية(التي تضمنت الدعوة صراحة) في مُجمل الرسائل بتواتر أكبر في صــورة الجملة الاســمية التي يكون فيها المسـند إليه (اســما لإن "فإني" والخبر: جملة فعلية أدعوك " وذلك في رسائلهﷺ إلى هرقل، والمقوقس، والحارث بن أبي شِمِّر الغساني، والمنذر بن ساوَى.

والأصل أنَّ الجملة الا سمية تفيد الثبات والا ستقرار، إلا أنَّها تخرج عن هذا الأصل إذا كان خبرها جملة فعلية، فحينئذ تعطي دلالة التجدد والديمومة، فدعوة الله دائمة يلحق بها من يلحق، ويتخلف عنها من يأبى.

بالنسبة للجملة الفعلية:

-جاءت الجملة الأساسية(التي تضمنت الدعوة صراحة) بالنظر لمُجمل الرسائل مرة بالصيغة الفعلية "وأدعوك بدعاء الله" وذلك في رسالة كسرى.

الجملة الطلبية:

نلاحظ ندرة في استعمال صيغة الأمر (الطلبية).

ومثالها: قوله "أ سلِم" الذي يتآزر و جوابه "تسلَمْ"؛ ليشكلا معا وحدة واحدة تجانست صوتا، ومعنى، وخففت من ثقل الأمر، وهذا من مراعاة مقتضى ـ حال المُخاطَب، مع تمام البلاغ، وإصابة الغرض.

لتلحق بهما علامة ثالثة في اتصال سياقي بديع "يُؤْتِكَ الله ....."، فطلب الفعل قد وقع مرة، وجوابه مرتين.

وهذا يوجه التأويل إلى أنَّ المعنيّ بقوله "يؤتك الله أجرك مرتين" يتعلق بأجر الإسلام في الآخرة، وسلامة الملك في الدنيا.

أو يكون المقصود أنَّ الله يجزيه على الإسلام، وعلى النصرانية إذا أسلم.

كما أنَّ مجيء الجواب مكثفا من خلال العلامتين "تَسْلَم، يُؤْتِك "يوجه التأويل إلى أنَّ غرض الأمر ليس الإنذار، بل النصح والترغيب بقرينة السياق، وفيه دلالة واضحة على وسطية الإسلام واعتداله، والدعوة إلى الله بالحسنى.

الجملة الشرطية:

تأتي الجملة الشرطية في ختام رسائلهﷺ إلى كسرى وهرقل والمقوقس بصيغة:

"فإن أبيت فإنّ عليك إثم المجوس" في رسالته إلى كسرى.

"فإن توليت فعليك إثم الأريسيِّين" في رسالته إلى هرقل.

"فإن توليت فعليك إثم القبط" في رسالته إلى المقوقس.

ويُخلَص من ذلك إلى:

- مجيء فعل الشرط "أبيت- تولّيت " على وزن "فَعَلْت-تَفَعّلْت" وهو ما يشير إلى وقوع الفعل بإرادة المُخاطب.

- أنّ زيادة البنية في "تولّيت" جاءت لكون التولّي جامعا للإدبار والإعراض ،وفيه زيادة معنى عن الإباء :وهو الكُره.

- أنّ المُغايرة في صورة الجواب التي تأتي مرة بصيغة " فإن عليك كذا...."، و"عليك كذا..." قد يكون مرجعها إلى كون التوكيد في الأولى قد ناسب حال كسرى وأتباعه، وهم ليسوا بأهل كتاب، فأراد التأكيد الذي يؤشر على المقصود وهو التبعة الثقيلة التي قد تخفى على المُخاطب، فإنَّه قد يرى وزر نفسه، ويغفل عن وزر رعيته.

أمّا الصورة الثانية "فعليك...."، فجاءت مناسبة لحال قيصر والمقوقس؛ لأنهما من أهل الكتاب العالمين بأفق الدعوة وامتداده ليشمل الراعي والرعية.

وفي كُلٍّ دلالة وا ضحة على بطلان دعوى أنَّ الإ سلام قد انتشر بحد السيف، فإن امتشاق الحسام جاء لضمان حرية الناس في الاعتقاد، إذا وقف الحاكم أو الملك حائلا بين الداعي والناس.

وفي ر سالته إلى جَيْفَر وأخيه " إن أقررتُما بالإ سلام ولَّيتُكما، وإن أبيتما أن تُقرّا بالإ سلام، فإنّ ملككما زائل عنكما".

حيث فعل الشرط "أقررتما" متعلق بالإسلام ،ويترتب عليه بقاء المُلك "ولّيتُكما".

والواقع أنهما يَليان فعليا، فكأنّ المعنيّ إقرار بإقرار، إن أقرّا بالإسلام، أقرّهم على الولاية، وإن لم يُقرّا زال مُلكُهما.

وزوال المُلك مُترتب على الإباء: الرفض، ومجيء جواب الشرط في صورة الجملة الاسمية المفيدة للثبوت، والمؤكدة بـــ "إنّ" والمتضمنة لاسم الفاعل "زائل" الدال على وقوع الفعل لا

محالة، تَرَقٍ في التوكيد، قطعا للشك من جهة المُخاطب، وفيه إرهاص بانتشار الإسلام ،وعموم سلطته في قابِل.

المطلب الثالث- سيميائية الحذف:

الحذف آلية أسلوبية تضغط لغة الخطاب بمعيار محسوب، وإلا عُدّ إخلالا، واللغة تتيح ذلك الحذف وتضع قواعده، بحيث تصبح مرآة عاكسة للقارئ أو المُتلقي، لاستعادة المحذوف.

كما أنَّ المسكوت عنه وهو ما ينقص صورة المعنى ،ويستدعيه المُصرّح به منطقيا ،يدخل في إطار الحذف ،ويستدعي الاستنباط، والتّتبع؛ لأنَّ غيابه يصبح حاملا للدلالة ،التي يسعي الباحث لاستكمال أبعادها.

والحذف عموما « يصهر القول في قالب موجز أو يلونه بضروب من الاختصار والحذف والتكثيف والترميز باعتبار أنَّ الفهم الذي ينجم عن التخاطب اللغوي يستدعي استرجاع المحذوف، وفك الرمز اللغوي ، واسترداد العناصر الملغاة من المكثف، وإرجاع المختصر إلى المجمل لتحقيق الفهم »[1].

وباستقراء الرسائل، نلحظ بسهولة هيمنة آلية الحذف، وسلطتها الضاغطة، مراعاة للمقام، ولطبيعة الخطاب كرسالة لا يحسن فيها التطويل، مع تمام الإبلاغ، وهذا من جوامع كلمهﷺ على مستوى تشكيل الدلالة بأقصر(الوحدات) الجمل، إضافة إلى إصابة المعاني الكثيرة باللفظ الواحد.

فمن البسملة والمحذوف فيها الفعل :أبدأ أو أبتدئ الذي يدل عليه متعلق الفعل "الباء".

إلى المحذوف في جملة "من محمد رسول الله" وتقديره: هذا كتاب

وجملة جواب الشرط المحذوف "تسلَم" والتقدير: إن تُسلِم تَسْلَم

وقوله "مرتين" اختصارا، دون تفصيل لهاتين المرّتين، والمفهوم: مرة في الدنيا، ومرة في الآخرة.

---

(١)المنهج السيميائي في تحليل النص الأدبي ،أدليلى شعبان رضوان، وآخر، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية،مج:١،عدد:٣٣،ص:٨٠٢ (بتصرف).

كما جاء قوله "يؤتك الله....."بحذف أداة الشرط وفعله ،والتقدير :إن تُسْلِم يؤْتك ...."

بحيث جاء النص مضغوطا، كأنما نُظم في سلك، دون أن يستشعر القارئ أو المتلقي ثغرة أو فجوة سلبية بين الأجزاء.

المسكوت عنه أو الجزء الغائب من النص:

يكون الدافع لاستشعار المسكوت عنه منطقيا بالمقام الأول، فالقرينة السياقية مفقودة، ويستدعي المنطق ضرورة وجود توازن بين الثواب الكائن في "يؤتك الله أجرك مرتين" وبين العقاب الذي لا نرى منه سوى الإثم الذاتي لشخص المخاطب "أَبَيْتَ- تَوَلَّيتَ"، والجماعي "عليك إثم (المجوس-الأريسيين-القبط)"، وهذا يكون في الآخرة.

وما قد يكون مسكوتا عنه قد لا يكون حلّ وقته، فلم يكن قد أُذن بقتال الأعاجم في هذه المرحلة.

وقد يفتح ذلك بابا لتأويل إثم الرعية الذي يحمله المُخاطب بحفزهم وحشدهم للقتال، وتعريضهم للسبي فيما سيأتي من الزمن ،وقد كان مُمكنا أن يَسْلم ويسْلَمون، وهو سبب اختيار الفعل "تسلَم" وقرينة على تقدير وتَسلَمْ رعيتك، فإن أبيت أو توليت فعليك إثم نفسك، وإثم رعيتك.

ولا ينبغي أن يُفهم من النص ما يُخل بمنهج الإ سلام أو اجتزائه بحيث لا يتضمن إلا الدعوة باللسان، فإن أبى الملك أو الحاكم حمل وزره ووزر رعيته في الآخرة، وإلا ففيم كان القتال، ولم فتحت الأمصار؟ .

-المطلب الرابع- سيميائية التناص[1]:

التناص: علاقة تداخل أو تأثر تنعقد بين نص وآخر، يتم استدعاؤه أو استقطابه بنصه، أو بتصرف أو إيماءً ،ويكون لاستدعاء نص بعينه دلالة معينة، كما يمثل ذلك ملمح اتصال قوي بين النّصين؛ لأنَّ التناص ببساطة يحيلنا إلى نص آخر بصورة قوية تتجلى في حضوره داخل النص الأصلي، والتناص لا يقع إلا مع نص مُترق كثيف الدلالة، يضفي تواجده ثراء على النص الأصلي.

وتعكس تقنية التناص تلك ثنائية(الا ستقبال-الإبلاغ) التي أشرت إليها في العنوان، ويتدرج التناص من تضمين جزئي إلى شبه كلي، بحيث تبدو نصوص الر سائل ترجمة تكاد تكون حرفية أو موازية لنصوص الآيات، في تعالق دلالي وا ضح بين الـ سنة والقرآن، فالنص القرآني يمارس سلطة تشكيل الجمل والمعاني، ونصوص الرسائل انعكاس له.

حيث نلاحظ أنَّ الآيات المُضمنة أكبر من نص مُستدعى لإثراء نص أصلي، بل هي وحدات تشكيل النص، بداية من العنوان: محمد رسول الله، والمقدمة: البسملة- التحية- المضمون (الفحوى).

وهذا يختلف في دلالته عن التضمين المعروف، ويكاد يكون مقلوبه؛ لأنَّ حضور النص القرآني المُضمّن أقوى وأكثر كثافة من النص الأصلي، والآيات كأنَّما اقتطعت بدقة ثم أعيد رصفها وبَسْط معانيه ،وهو ما يتجلى فيما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم: تضمين لجزء من الآية: « إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. »[2]

وعنه ﷺ أخذت سنة البدأ بالبسملة في القول والعمل، لكنه يسترعيك أنَّ الآية وردت في سياق مخاطبة سليمان عليه السلام لقوم بلقيس ،وتستدعي الآية بعدها « أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ »[3].

---

(١)إدراك القارئ لعلاقة بين نص ونصوص أخرى قد تسبقه أو تعاصره. ينظر: التناص في الخطاب النقدي والبلاغي (دراسة تطبيقية) ، د.عبدالقادر بقشي، ص: ٢٠، دار أفريقيا الشرق-المغرب، د.ط، ٢٠٠٧م.

(٢)سورة النمل،٣٠.

(٣)سورة النمل،٣١.

فالنبيﷺصاحب أول رسالة سياسية من العرب، وهو ينحو نحو سليمان الحكيم عليه السلام في الابتداء، وفي الفحوىٰ أيضا، مع شيء من التفصيل وإلانة الكلام.

محمد ر سول الله: تضمين لجزء من الآية « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا »[1].

فالعنوان مقتطف بأكمله من صدر هذه الآية، التي فيها تنويه بهﷺ، وثناء علىٰ المؤمنين به، وبيان لهيئتهم المذكورة في التوراة، والإنجيل، وتكاد تكون الآية اختزالا لنصوص الرسائل ومدارها.

فالذين معه: هم الذين اتبعوا دعوته، والمخاطب بالرسالة مظنون فيه الاتباع، وهو من أمة الدعوة حتىٰ يدخل في أمة الإجابة بأن يصير مؤمنا.

والآية فيها بشارة تعلقت بالمؤمنين المصدقين "وعد الله الذين آمنوا..."، والرسائل متضمنة البشارة "تسلم-يؤتك الله....".

وإنذار للكفار: "أشداء علىٰ الكفار..... ليغيظ بهم الكفار"، والرسائل فيها النذارة "فإن توليت فعليك- فإن أبيت فعليك".

كما أنَّ الآية من سورة الفتح وهي سورة مدنية نزلت بعد الحديبية، وتوقيت إرسال هذه الرسائل بعد الحديبية، وهذه التزامنية تُعضد كون العنوان مقتطفا من هذه الآية.

سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ: مقتطفة من الآية « فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ »[2].

---

(١)سورة الفتح،٢٩.

(٢)سورة طه:٤٧.

وجملة " سلام على من اتبع الهدى" تأتي في مقدمة الرسائل بعد ذكر المرسل والمُرسل إليه، وهي في الآية ختام لدعوة موسى وهارون عليهما السلام لفرعون، وهي ليست بمظنة التحية، لكنها في رسائله ﷺ تحية فيها احتراس لطيف، وترغيب لدخول المُخاطب في الصفة التي يحصل لأهلها السلامة.

أسلِمْ تَسْلَمْ: تضمين لمعنى الآية الكريمة « وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ »[1].

وتكاد تكون جملة" أسلِمْ تَسْلَمْ": ترجمانا لمعنى الآية، ونرى معنى الآية اختزالا لمضمون الرسائل.

يؤتك الله أجرك مرتين: وفيها تضمين مع تصرف للفظ الآية: « أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ »[2].

وجملة" يؤتك الله أجرك مرتين" مكررة في رسائله ﷺ إلى هرقل ،والمقوقس وهما من أتباع المسيح عليه السلام، يؤتون أجرهم مرة على إيمانهم بعيسى عليه السلام ،ومرة على إيمانهم بمحمد ﷺ، وفي ذلك أكبر دليل على سماحة الإسلام، واحترامه للديانات السماوية، وجزيل عطاء الله تعالى وفضله.

« فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن"، في صدر رسالته ﷺ للنجاشي الثاني:

تضمين لقوله تعالى" هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ.....»[3].

ويغاير هذا طبيعة الاختصار و سلطته الضاغطة في نصوص الرسائل؛ ليخرج بنا إلى دلالة التأشير المتصل على أسمائه تعالى، تنبيها على استحقاق الله تعالى، وهو عندهم أول الأقانيم للوحدانية

---

(١)من الآية ٢٠، سورة آل عمران.

(٢)سورة القصص،٥٤.

(٣)من الآية:٢٣، سورة الحشر.

المنا سبة لتفرد صفاته، وقوة سلطانه، وهذه إ صابة للغرض من خلال التقديم، وفي سياق التحية الموحية.

وإجمالا نرىٰ أنَّ الآية التي ضُمّنت بشكل شبه كامل و سبق الحديث عنها، حذفت منها لفظة "قل" ووصلت « ويا أهل الكتاب.....»[1].

وأنَّ الآيات التي ضمّنت أجزاء منها لفظا أو معنىٰ سُبقت في نصها الأصلي بالأمر "قل" أو ما يدل علي القول مثل:

« وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد. »[2]

« فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ »[3].

« أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. »[4]

ومجيء نصوص الرسائل ترجمة للنصوص القرآنية أو مُركبة منها مع تصرف يظهر تشبُّع النبيﷺ بالقرآن، واغترافه من منبعه الثري.

كما أنَّ مجيئها ترجمة لأقوال: سليمان- مو سىٰ وهارون المحكية فىٰ القرآن أكبر دليل علىٰ عالمية هذا الدين الذي جمع شمل الر سالات و سدَّدها وقوم انحرافها؛ لتنتظم فيه صحيحة مع ما زاد الله عباده المؤمنين.

---

(١)سورة آل عمران، ٦٤.

(٢)من الآية ٢٠، سورة آل عمران.

(٣)سورة طه:٤٧.

(٤)سورة النمل،٣١.

المطلب الخامس- سيميائية الصورة:

تعطى الصـــورة من الدلالات ما لا تعطيه طرائق التعبير العادية؛ حيث تجعل الدلالة ماثلة أمام الحواس، والمرئي منها أو ما يتعلق بحاسـة البصر- أكثر تأثيرا من المسـموع أو غيره، فالدلالة في حالة الصورة دلالة مكثفة ممتدة غير مغلقة أو مقيدة.

والصورة ضمانة لتفاعلية أكبر من جانب المتلقي، ووحدة تشكيلية مضيئة لحفز المتلقي، بحيث تسبح حواسه سبحا مطلقا في أجواء الصورة؛ ليتخلق من ذلك شعور مكافئ لدلالة الصورة أو هو الدلالة بعينها، فالصـورة « تسـهم في خلق إدراك متميز للشـيء، وتخلق رؤية»[1]، وعبر هذه الرؤية تنطلق الحواس والملكات النفسية للمتلقي لتقع على الدلالة.

ويتضح من الاستقراء العمودي للرسائل ندرة الصور المتضمنة فيها، مراعاة لمقتضيات الخطاب وطبيعته، وخضـوعا لسـلطة الاختصـار التي هيمنت على نصـوص الرسـائل، ولصـبغتها الرسمية التي لا يسوغ فيها التصوير إلا لماما، ويتمثل التصوير في ما يأتي:

الكناية[2]:

تناسب الكناية بيئة الاختزال النصية، وتتوشج معها، فهي ترسم الصورة المطلوبة، في لفظ مختصر، وتشير إلى الدلالة إشارة رامزة.

ويأتي هذا اللون في بضـعة كنايات مُختارة، مضـغوطة بسـلطة الاختصـار على النص، ففي رسالتهﷺ إلى هوذة بن علي الحنفي، والمنذر بن ساوَى، تقع على ثلاث كنايات:

ففي قوله "واعلم أنَّ ديني سَـيَظْهر إلى منتهى الخُف والحافِر"، تتضـافر كنايتان في تشـكيل صورة بديعة في إيجاز لافت:

---

(١)القراءة النسقي: سلطة البنية ووهم المحايثة، أحمد يوسف ،الدار العربية للعلوم-بيروت-لبنان، ط: ١، ٢٠٠٧م، ص:٩٥.

(٢)الكناية في عرف اللغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وهي: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى. ينظر: علم البيان، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت- لبنان،د.ط،١٩٨٢م، ص:٢١١(بتصرف).

الأولى: سيظهر، والظهور كناية عن ارتفاع حقيقي.

و"منتهى الخف والحافر" كناية عن صفة هي :اتساع رقعة الرسالة وعالميتها.

وهذا من شأنه أن يستدعي من خلال عنصري التشكيل: الظهور: العلو والامتداد اللانهائي، صورة لشمس مشرقة تمتد أشعتها لتغطي العالم بأسره.

والكناية الثالثة في قوله "وأجعل لك ما تحت يديك "، "يجعل الله لك ما تحت يديك".

فـقوله "ما تحت يديك" كناية عن موصوف هو :ملكه.

وهذه الكناية رافد ثالث يغذي تشكيل الصورة ،التي تتنامي إلى صورة لشمس مشرقة ممتدة الأشعة تغطي الأرض، وظل تصـنعه اليد التي تظلل ما تحتها من ممتلك، فالإسـلام شـمس مشـرقة مرتفعة قوية السلطة ممتدة عبر الزمان والمكان، والممتلكات الزمنية والمكانية تقبع تحتها كالظلال.

وفي رسـالته إلى جيفر بن الجُلَنْدَى تأتي الكناية في قوله " وخيلي تحِلُّ بسـاحتكما، وتظهرُ نبوّتي على مُلكِكُما".

فنزول الخيل بالساح، كناية عن صفة: الانتصار.

و"تظهر نبوتي " كناية عن انتشار الدين.

وتعكس الكناية الأولى صورة لتفوق مادي:الخيل الحالّة، وسلطة مكانية.

بينما تعكس الكناية الثانية صورة لتفوق روحي "نبوتي" وسلطة زمنية ممتدة؛ لأنَّ نبوتهﷺ لا تزول.

الاستعارة:

وتندر محكومة بندرة التصوير الموافقة لطبيعة الرسائل السياسية، وطابعها الموجز، الرسمي، ومثالها:

في قوله "فإن توليت فعليك إثم....".

حيث شبه رفض المُخاطَب للإ سلام، بمن يعرض بجسده ووجهه، وصرّح بلفظ المشبه به، وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية[1].

(١)هي ما صرّح فيها بلفظ المشبه به. ينظر: علم البيان، عبدالعزيز عتيق، ص١٧٦.

ومن جمالية هذه الاستعارة الخاطفة، أنَّها جسدت حالة الرفض، بحيث يستحضر القارئ صورة شخص ينكص على عقبيه، وهو يتحا شى أمرا، وهي تثير في النفس نفورا، من هذا الخروج عن الحال الطبعية؛ إذ الأصل هو الإقبال والتّحرى، لا الإدبار والاستعلاء الأعمى.

التشبيه:

يقع هذا اللون من التصوير في الرسالة الموجهة إلى النجاشي الثاني" فحملت بعيسى من روحه ونَفْخه، كما خلق آدم بيده".

فكما بمعنى: مثلما، تسوية بين كيفية خلق عيسى، وخلق آدم، فقد خُلق آدم قبل أن توجد أبوة أو أمومة، سوّاه ونفخ فيه الروح، وكذلك سوّى عيسى عليهما السلام ونفخ فيه الروح، وهو أهون عليه؛ لوجود المادة والرحم المستودعة.

وهذا التشبيه ترجمة لقوله تعالى: « إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »(١).

وساقه النبيﷺ تصحيحا لاعتقاد النصارى في عيسى عليه السلام، والغرض من التشبيه على هذه الصورة عقد المساواة بين خلق البشر جميعا، ونفي الألوهية عنهم، ونفي الولد عن الله تعالى، في أخصر لفظ.

المجاز المُرسل:

لاعتماد المجاز المرسل على اللفظ المفرد دون التركيب مزية تكثيف عالية، وتأشير رامز في اتجاه الدلالة، ومن أمثلته:

قوله "أجعل لك ما تحت يديك....."، "يجعل الله لك ما تحت يديك".

فاليد هنا رمز للسلطة، والامتلاك ،والتعبير باليدين جاء استفاضة لهذا الامتلاك ترغيبا للمُخاطب.

وقوله" وإني أدعوك وجنودك إلى الله -عزَّ وجلَّ".

---

(١)آل عمران،٥٩.

فالعلامة "جنودك" مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ حيث عبّر بالجزء "جنودك"، وأراد الكل: أي: رعيته جميعا، وخصّ الجنود؛ لأنهم الصفوة، وأهل البأس ،المقدّمون عند الصدام، فجاء ذلك تنبيها على تجنب المواجهة بالقوة، وإعمال العقل، والجنوح للسلم.

المطلب السادس- سيميائية التوكيد:

التوكيد من المشيرات الدلالية التي من شأنها تعميق فهم النص، وبروز أبعاده ،وكل مؤشر يسهم في إيصال الخبر أو تدعيم الاتصال بين النص والمتلقي، هو مؤكد ،أو حامل لمعنى التوكيد.

وتحمل آليات الحصر والقصر دلالات توكيدية كذلك؛ لأنّها تكثف المعنى في اتجاه ما، وتقطع نمو الدلالة في الاتجاهات الأخرى، ويشكل الطباق بما يحمله من تناقض بين علامتين دالتين تأشيرا مُلفتا يبرز المعنى من خلال ذلك التناقض المنتج للدلالة.

وباستقراء الرسائل نلمس حضور هذه المؤكدات بصورة مقتصدة ناسبت ايجاز النصوص، وسمة الاختصار المهيمنة عليها، ومن هذه المؤكدات:

- **الحصر والقصر**[1]:

يحمل الحصر والقصر دلالة توكيد قوية، ومانعة في الوقت ذاته من امتداد المعنى في اتجاهات أخرى، وهو لون من ألوان الإيجاز الذي يحدد مدار المعنى، ومن أمثلته:

قوله "عليك" خبر مقدم، والأصل: "إثم .....عليك".

والتقديم هنا مؤشر أسلوبي لافت، فأهمية المُقدّم أكسبته هذا الموقع المتقدم.

وغاير ذلك نمط التعبير (مسند إليه-مسند)،(مسند-مسند إليه).

فتصدر "عليك" أعطى معنى الحصر، وفيه صدم بوقع العلامة؛ حيث "على" مفيدة للاستعلاء، وإضافتها للضمير "كاف الخطاب"، فيه مواجهة، ونبرة إنذار.

---

(١)هو: "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، والشيء الأول: هو المقصور، والشيء الثاني: هو المقصور عليه". ينظر: جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبديع، السيد احمد الهاشمى، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلى، ط١، المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٩٩م، ص ١٥٦.

وعلىٰ مستوىٰ عمل آلية الحصر:

فقد قصر الإثم(الصفة) علىٰ شخص المخاطب(كسرىٰ-هرقل-المقوقس) فيما يخص رعيته؛ لأنهم أتباعه، وممتثلو أمره، فهذا يعني أنَّه آثم إثما يكافئ إثم كل فرد من رعيته، بحكم ولايته العامة عليهم.

-وفي قوله " وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له "

يتكثف القصر ويتتابع من خلال الجملة " لا إله إلا الله "، وآلية القصر هنا :النفي والاستثناء "لا ....إلا"

ثم العلامة المفردة "وَحْدَهُ"، المؤكدة بالمعنىٰ المتضمن في "لا شريك له".

وأنت تستشعر أنّ لفظة "وحده" انفردت حقيقة كنقطة مضيئة بين منطقتين نصيتين معتمتين من خلال النفي، وهو هنا نفي الجنس أعلىٰ درجات النفي، وهذا من نطق التشكيل بالدلالة في أبدع صورة.

الطباق(التناقض الدلالي):

من خلال الطباق يتبلور الاختلاف الدلالي بحيث يُنتج دلالة تستشف من الصورتين المتناقضتين للمعنىٰ، ومثاله:

-"عليك" و "لك"

حيث تتعلق "عليك" :بالإثم.

و "لك" بالمِلك، والمُلك :"أجعل لك ما تحت يديك"-"يجعل الله لك ما تحت يديك"، "يبقىٰ لك ملكك".

ودلّ وجود العلامتين علىٰ نوعين من الاستجابة تعلق بهما جزاء مكافئ:

"توليت-أبيت"" عليك إثم...."

"أَسْلِم" ، " يجعل الله لك ما تحت يديك"، "أجعل لك ما تحت يديك".

-"تعالوا -تولوا" في رسالة هرقل، والمقوقس.

وبين العلامتين مغايرة إلى درجة التناقض من حيث هيئة المُخاطَب، فالأولى متوقعة من جهة الداعي : وترسم صورة للإقبال والإيجابية والتأمين.

والثانية متوقعة من جهة المُخاطب: وترسم صورة للإعراض والنفور، وتنذر بسوء العاقبة.

التوكيد بحروف التوكيد:

ويرد في قوله: "فإني أدعوك"، وقوله:" فإنّي رسول الله إلى الناس كافّة".

والتوكيد هنا يقوي الدلالة، ويقطع الشك المتوقع من جهة المُخاطب، والغرض تأكيد الخبر، المتمثل في: الدور أو الوظيفة: الدعوة(البلاغ)، والصفة "رسول الله".

المطلب السابع- هندسة النص وآليات التنامي الدلالي:

لكل نص خطة تشكيل، وإلا أصبح مجرد بعثرة خاوية، والنص لا ينمو كبنية خارجية، ولا ينتج معنى متناميا، إلا من خلال توزيع خاص، يتجه من المُكثف إلى المُفصّل، ويرتبط بعلاقات منطقية بين أجزائه، التي تتمايز وظيفيا لأداء أدوار بعينها، وتتكامل لتشكل جسد المبنى، الذي يرمي بظلال الدلالة، في تساوق واتساق، محسوب؛ حيث من المتوقع أن يصل النص إلى غايته، ويكتمل خطابه، عند نقطة معينة.

ويكون ذلك الترتيب لوحدات النص البنائية ماثلا في ذهن المُنشئ قبل عملية التأليف، ومطبوعا بسمة العمل الأدبي ذاته، والأقسام المميزة لنوعيته، فالرسائل تبدأ وتنتهي من خلال هيكل أو بناء هندسي يُصب فيه المحتوى، تماما كالأبنية المادية، التي تتكون من حدود، وهياكل، ومحتويات متمايزة.

وليست الغاية في استواء البنية، وكمال الهيكل، وإنما في التفاعل الداخلي بين الوحدات، والمسار الذي تتخذه الدلالة من خلال البنية وديناميةهذا المسار، الذي يحث تنامي الصورتين: اللفظية والمعنوية، فالدلالة تقع بالضرورة في حدود بنائية وتتخللها، كما أنَّه لابُدَّ من وجود آليات تعمل على تناميها إلى الأمام، وتدفقها تدفقا سلسا، وهو ما أتتبعه في ما يأتي:

أ-هندسة النص:

تتمايز نصوص الرسائل على أعلى المستويات تجريدا وعمومية إلى: مقدمة- فحوى- خاتمة، هذا فضلا عن العنوان الذي يقوم الختم بدوره الوظيفي كمفتاح لقراءة النص، وتنقسم المُقدمة بدورها إلى: الافتتاح (البسملة)-التعريف بهوية المُرسل والمرسل إليه -التحية.

الافتتاح:

نظرا لاختزالية النص العالية فإنَّه يمكنك أن تراه كاملا في الوحدات التي تنقسم إليها المقدمة، وهو ينتج الدلالة المقصودة من النص، من خلال مغايرة، تبعث على التساؤل، فلم يكن معروفا عند العرب مثل هذا الافتتاح، وكان العرف اللغوي لديهم محصورا في حدود قولهم "باسمك اللهمّ"

ومن البداية يبرز لفظ الجلالة "الله" بتقدير :أبدأ باسم الله.

ويعكس تجاور العلامات الثلاث "الله-الرحمن-الرحيم" تغيّرا عقديا مكافئا لتغير عرف الابتداء من "باسمك اللهم" إلى "بسم الله الرحمن الرحيم".

ورغم افتقاد المتلقي لمدلول العلامتين "الرحمن-الرحيم" كاسمين من أسماء الله الحسنى، فإنَّ دلالة الرحمة فيهما ظاهرة، ومكثفة من خلال القرابة الاشتقاقية بينهما.

التعريف بهوية المُرسِل :

ينطوي التعريف بهوية المرسل في غالبية الرسائل على مغايرة للعرف السائد بتضمنه للعلامة "عبد" المضافة للفظ الجلالة، والمقدَّمة على العلامة "رسول" المضافة إلى الضمير العائد عليه .

وقد كانت العبودية نقيصة في هذا الزمن، وهي كذلك في كل زمن، لكن ورودها بهذا التركيب "عبدالله" الذي تكون فيه مضافة إلى لفظ الجلالة، قلب مدلولها من الضعة إلى الشرف الذي يتباهى به الشخص المتصف بها، ويقدمها في معرض التعريف عن نفسه، بأرفع الوسوم.

التعريف بالمرسل إليه:

يأتي التعريف بالمرسل إليه بصفة العظمة "عظيم الفرس-الروم-القبط""

وهي صفة مناقضة للعبودية التي اتصف بها المُرسِل، ويستشف من ذلك أنَّ صفة العبودية يدخل فيها المُرسِل في نطاق أوسع يدعو إليه وهو الإسلام، ويخرج به الملوك من ضيق حيز الملك

والطائفية "فارس-الروم-القبط"، إلى انتماء أوسع يضم الأجناس كلها، فإذا قرأنا السياق قراءة عكسية أصبح "كسرى-هرقل-المقوقس" عظماء أقوام مدعوون من رسول الله إلى العبودية لله تحقيقا.

ومن جمالية التعبير أنّ المرسل قد خصّ نفسه بصفة العبودية لله ابتداء، ثُمّ عدّاها دلاليا إلى المُخاطب، بقرينة منطقية، وسياقية، نأيا عن المباشَرة؛ لثقل المدلول على النفس.

التحية:

تأتي جملة التحية "سلام على من اتّبع الهدى" :

ثناء وحصرا للسلامة على المهتدين؛ لأنَّ "على" بمعنى اللام، وفيها تحبيب للمُخاطب بالدخول في صفة السلامة، باتباع الدعوة المتضمنة في الرسالة، والتي ينأى بها عن ضلاله، فهي أقرب لجذب المتلقي، من كونها احتراسا من دخوله تحتها؛ لأنَّ تقديمها جعلها تحية، لا ينبغي فيها الاحتراس، ولكنها تحية مختارة، ملخصة للمعنى الكلي.

الفحوى:

ويفصلها عن المقدمة قوله "أمّا بعد".

وفي رسائله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمِر، وهوذة الحنفي، والمنذر بن ساوَى يختفي الحد الفاصل بين المقدمة وفحوى الرسالة مدغوما بسلطة الاختصار، نظرا لقصر الرسائل الثلاثة النسبي عن مثيلاتها، على النحو الذي لا يسوغ معه الفصل، وإنما الوصل أولى.

وفي رسالة كسرى يختفي مؤشر الفصل "أمّا بعد" باتصال التحية بالفحوى في سياق واحد، " سلام على من اتّبع الهدى، وآمَنَ بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله ،وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله"، بتفصيل الهدى بالإيمان بالله ورسوله، وبيان ركن الدخول في هذا الهدى، بنطق الشهادتين.

ويأتي النطق بالشهادتين من جهة المُخاطب، الذي أتى من جهته السلام، وهذا السلام يتحقق بالإيمان، والتسليم، والاتباع، في اتصال سياقي بديع.

لتأتي جملة "وأدعوك بدعاء الله" تنبيها ،وقد روعيت حال المُخاطب لكونه على دين وضعي وليس كأهل الكتاب عالما بالديانات السماوية.

الختام:

يأتي الختام في صورة جملة موقّعة يتردد صداها في ذهنية المُخاطب، هي "عليك إثم (المجوس-الأريسيين-القبط".

فالإثم كأنّه ثقل حقيقي يحمله المخاطب في حال إبائه أو تولّيه، ويعد هذا ختما بالجزاء بعد الإبلاغ والإشهاد.

وفي رسالتهﷺ إلى الحارث بن أبي شِمْر، وهَوْذَةَ بن علي الحَنَفِيّ، تطن جملة الختام بأصداء بقاء الملك في قوله:

"يبقى لك ملكُك".

"وأجعلُ لك ما تحت يديك".

وهذا مراعاة لكون سلطة الرجلين محدودة، فالأول عامل لهرقل، والثاني: ملك أقرب إلى زعيم قبلي.

ونرى ملامح لختام مُكتمل، يجرى على عرف الختام بالسلام في رسالتهﷺ إلى النجاشي الثاني " والسلام على من اتبع الهدى".

حيث كرّر جملة التحية في ختام الرسالة، فجاءت فحواها بين تحيتين .

فالختام قد تنوع بين ترغيب بالعطاء، وتخويف من العاقبة، والتحية المتضمنة لمعنى الترغيب في الاتباع، تجسيدا لثنائية البشارة والنذارة.

ب-آليات التنامي الدلالي:

تعتبر نصوص الرسائل نصوصا تفاعلية فائقة الدقة، تتجاوز الأبعاد السطحية كالإخبار والإفادة، أو رسم صورة جامدة لمعنى ما، فالنص ينشط من بدايته في اتجاه حفز المتلقي على التفاعل، ويضعه أمام حتمية المقارنة بين الوارد، والراسب في ذهنيته.

وهذا يتم من خلال آليات لغوية وأسلوبية مقصودة لإحداث الأثر، مع ضمان الاتصال بين الأجزاء، وتوالدها، أو تتابعها بشكل منطقي، ومن هذه الآليات:

-التفصيل بعد الإجمال:

في قوله من رسالة كسرىٰ: " اتّبع الهدىٰ، وآمَنَ بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله ،وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله"

اختزل الدخول في الإسلام في علامة واحدة مكثفة "الهُدىٰ"

فصلّها في جملة "آمن بالله ورسوله"

ثم إلىٰ تفصيل أكبر في جملتين معطوفتين إظهارا لركني الشهادة، وبيان سبيل اتباع الهدىٰ، بأول أركان الإسلام وهو الشهادة.

ويعتبر هذا تكرارا دلاليا لوحدة صغري "الهدىٰ" تتنامىٰ إلىٰ وحدة أكبر (ركنا الشهادة)، كما أنّه مؤشر علىٰ التنامي النصي- بالانتقال من التأشير المصطلحي "الهدىٰ"، إلىٰ الفكرة (الإيمان) إلىٰ (الكيفية).

وقوله من رسالتهﷺ إلىٰ جيفر وعبد ابن الجُلَنْدَىٰ: " فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أَسْلِما تَسْلما، فإنّي رسول الله إلىٰ النّاس كافّة، لأنذر من كان حيًا، ويحق القول علىٰ الكافرين".

فـ"دعاية الإسلام" اختزال فيه إجمال، تفصله جملة "أسلما تسلما" المتضمنة للفعل والجزاء، متبوعا بتأكيد علىٰ صفة الداعي "إنّي رسول الله"، وشمول دعوته "إلىٰ الناس كافّة"، وتعليل قدمت فيه النذارة المانعة من الزيغ، وتأشير علىٰ غاية إرساله ﷺ، وهي البلاغ، وإيكال أمر الناس بعدها إلىٰ ربهم "يحق القول علىٰ الكافرين".

-الحركية(الفعلية):

كلما كان النص متضمنا أفعالا متقاطعة متصلة ازداد تأثيره، وظهرت دلالته في حث المتلقي، علىٰ الوقوف علىٰ المدلول، بشكل حركي، فهو يتبع الإشارات النصية في اتجاه ما؛ ليصل إلىٰ غاية، فالأفعال تطّرد كمًّا، وتتصل كيفا في مسارات يتطلب الوقوف عليها فعلا تفكيكيا بغية الفصل

الكمي للأفعال الواردة في النصوص، ورصد نقاط اتصالها، والنظر في مستوياتها، ومظاهرها العامة والمجردة.

ففي رسائلهﷺ إلى كسرى، وهرقل، والحارث بن أبي شِمِّر، وهوذة بن علي الحنفي، نرصد هذا التتابع الدّال على التوالي:

اتَّبَعَ-آمَنَ-أَشْهَدُ-أَدْعُو-أُنْذِرَ-يحِقَّ-أَسْلِمْ-تَسْلَمْ-أَبَيْتَ.

الاتباع-الإيمان-الشهادة-الإنذار-العاقبة-الدعوة-السلامة-الرفض.

افْتَعَلَ-أَفْعَلَ-أَفْعَلُ-اَفْعُلُ-أُفْعِلَ-يَفْعِلَ-أَفْعِلْ-تَفْعَلْ-فَعَلْتَ.

اتّبَعَ-أَدْعُو- أَسْلِمْ-تَسْلَمْ -يُؤْتِكَ-تَوَلَّيْتَ.

الاتباع-الدعوة-الإسلام-السلامة-الجزاء-الإعراض.

افْتَعَلَ- أَفْعُلُ- أَفْعِلْ-تَفْعَلْ-يُفْعِك-تَفَعّلْتَ.

اتبّع-آمن-صدّق-أدعوك-تُؤمن-يَبْقى.

الاتباع-الإيمان-التصديق-الدعوة-الإيمان-بقاء الملك.

افْتَعَلَ- أَفْعَلَ-فَعّلَ-أَفْعُلُك-تُفْعِلَ-يفْعَلَ.

اتّبع-اعْلَم-يَظْهَر-أَسْلِمْ -تَسْلَم-أَجْعَلُ.

الاتباع-العلم-الظهور-الإسلام-السلامة-العطاء.

افْتَعَلَ-افْعَلْ-يَفْعَل- أَفْعِلُ-تَفْعَلْ-أَفْعَلُ.

والملحظ الأول: هو كثرة الصيغ الفعلية بالنسبة إلى حجم النص المُختزل، وهى علامة واضحة على الفاعلية والحركية.

ثانيا: تعلق الصيغة "افْتَعَلَ" بحدث اتباع الدعوة.

ولا يخفى ما في الافتعال من دلالة على بذل الجهد من جهة المُخاطب.

إضافة لما تحمله العلامة "اتّبع" صورة الفعل الأصلية من دلالة اقتفاء الأثر، والسير في اتجاه المقصود.

ثالثا: تعلق الصـــــيغ "أَفْعُلُ-أَفْعَلُ-أُفْعِل بالمتكلم وهو الر سولﷺ فيه دلالة على الحث وإنتاج الحدث في المُخاطب، فهو بمثابة المرشد والهادي وليس عليه الهداية.

رابعا: تعلق الصـــــيغ " افْتَعَلَ- أَفْعَلَ-فَعّلَ- تُفْعِلَ-أَفْعِلّ- تَفْعَلّ-تَفَعّلْتَ-فَعَلْتَ" بالمُخاطب، موح بالجهد الذاتي، ودال على المسـار الذي يتخذه هذا الجهد النشـط في طريق الاتباع، أو رفض الدعوة.

خامسا: جاءت الصيغة "يُفْعِك" دالا كاشفا عن النقص الذي يجبره الخالق تعالى في مخلوقه بالعطاء "يؤتِك"

وتعلقت صيغ " أَفْعَلَ-فَعّلَ" بتحقيق التواصل بين المخلوق وخالقه سبحانه

وجاءت زيادة المبنى فيها دالة على ترق معرفي يبدأ بالاتباع ثم الزيادة "آمن-صدّق".

سـادسـا: تجلى الاتصـال النصـي والتنامي الدلالي من خلال حركية الأفعال التي يتجه مسارها من الاتباع إلى الإنذار بالعاقبة والإ شهاد على البلاغ، وما بينهما من بيان لكيفية هذا الاتباع، وفضله الدنيوي والأخروي .

بالنظر في وحدات بنية المتن، على مسـتوى الصـوت، والبنية الصرـفية، والتركيبية، مرورا بالظواهر التي تعتري البنية، وتسهم في تشكيلها، وإبراز حدودها، وتوجيه دلالتها، تبيّن ظهور الدلالة على المستوى الصوتي من خلال صوتي: السين، والميم، الموحيين باليقظة والوقار، كما جسّدت البنية الصرفية والتركيبية حركيّة المتن فهيمنت صيغ المُضَارعة ،وتواترت الجمل الفعلية الدالة على التجدد والديمومة، وبرزت سلطة الاختصار من خلال آلية الحذف داغِمة المتن في حدود القصد، وجاءت الصـور ملائمة لجو الاختصـار، ومندمجة بوحدات النص، وأظهر التّناص طبيعة وحدات الخطاب المكون من وحدات قرآنية أعيد نشرـها، وترتيبها، وجاء التوكيد والتجنيس بشـكل لافت موجز، واتسق تنامي البنية مع تنامي الدلالة دون تفاوت أو انقطاع، بحيث تجلت وسطية النصوص، من خلال المعادلات الفنية المجسدة لها على المستويات كافة.

المبحث الثالث- الأبعاد الأيديُولُوجيّة للخطاب

إنَّ البحث عن الدلالة يستدعي الخروج من انغلاقيه النظرة إلى النص كنسق تام، أو عالم مغلق، إلى انفتاحيه أكبر، من خلال رصد التعالق بين العلامات المختزلة داخل النص وبين الأنساق المعرفية التي يحيل عليها، ويتداخل معها؛ حيث تتجاوز العلامة حيز التأويل السياقي الضيق، إلى حيز أكبر، تتنامى به الدلالة.

ولا شك أنَّ هذا التعالق يبلغ مداه، في رصد العلاقة بين النص والواقع، من منطلق كون النص مظهرا ثقافيا للواقع، يعكس صورته من منظور ذاتي؛ لينشط النص بعد ذلك في إعادة تشكيل الواقع، بتداخله مع النمط المعرفي لهذا الواقع، ومحاولته إعادة إنتاجه من خلال تعريضه للنقد .

ويحمل الخطاب في رسائلهﷺ، أبعادا مهمة، تختص بموقف الإسلام من الديانات الأخرى وطبيعة تداخله النقدي مع أنساقها المعرفية، وملمحا و سطيا بارزا ا صطبغ به منحاه الدعوي، وهو ما أستعرضه فيما يأتي من مطالب:

المطلب الأول- موقف الإسلام من الديانات الأخرى:

لم يحمل ظهور الإسلام صدمة معرفية، بقدر ما حمل صحوة وقاد ثورة تصحيح لمفاهيم خاطئة دخيلة شابت الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وامتدت غاياته إلى ضبط مظاهر السلوك الإنساني، وتقويم انحرافه.

وتحمل لنا العلامات اللغوية صورة للمجتمع في ذلك الزمن، وثقافته المتمثلة في العادات والتقاليد والأطر المعرفية، فنصوص الر سائل تعمل داخل بيئتها التاريخية، وظرفها الزمني، وتنشط في إعادة إنتاج واقعها، من خلال نقد علامات الثقافة القديمة، وإحلال أخرى بديلا عنها، من خلال انتقالات محسوبة، وتداخُل مقصود مع أنساق معرفية مغايرة، ومتنوعة.

فالعلامة "المجوس" في رسالتهﷺ لكسرى دال على نسق معرفي عقدي.

وفي الحديث « كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرةِ ، حتى يُعرِبَ عنه لسانُه ، فأبواه يُهوِّدانِه ، أو يُنصِّرانِه، أو يُمجِّسانِه »[1].

---

(١)المعجم الكبير، للطبراني، ت: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٤م، ١/ ٢٨٣.

فالمجوسية كديانة وضعية هي نَسَق معرفي وخصوصية مجتمعية في آن، وهي مغايرة للفطرة والمنطق في عبادة المخلوق: النار، وترك عبادة الخالق.

ونص رسالة النبيﷺ إلى كسرى يلقي حجرا في بحيرة هذا الاعتقاد، ويحاول نقل المتلقي إلى ثقافة جديدة عليه، والمفترض أنَّ العلامة "المجوس" نشـطة في بيئتها الثقافية، والنص يحاول أن ينقلها إلى سياق ثقافي آخر تصبح فيه خاملة "إثم المجوس" ومؤهلة للاستبدال.

حيث تظهر هشاشتها للمتلقي أمام النسق المعرفي الأصلي" اتّبع الهدى، وآمَنَ بالله ورسوله "فعملية التغيير هنا إزاحية، تُزاح فيه العلامات الثقافية المستقرة، واستبدالية تحل فيه علامة ثقافية محل أخرى.

ومن العلامات النشطة ثقافيا في بيئة المجوس ومجتمعهم، "إله" و "عبد".

وهما تحملان دلالة مغايرة للنسق المعرفي الأصلي الموافق للفطرة، بحيث باتتا تدلان على إله بشري، وعبد مستلب.

وقد اقتضت عملية الترحيل، والاستبدال إظهار النسق الأصلي "أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله" في بداية الرسالة؛ لضبط دلالة العلامتين الثقافية، وردها إلى الأصل، وحفز المتلقي على صنع مقاربة ثقافية جديدة، بناء على المفهوم الجديد، بمعنى صنع إنتاجية جديدة لمدخلات جديدة.

وينبه المُرسِل في قوله" وأدعوك بدعاء الله، فإنّي رسول الله" على أنّ نسقه المعرفي الجديد ليس وضعيا بشريا، مراعاة لثقافة الفرس، ووضعية دياناتهم.

كما يوضح غرضه من الإرسال والمتمثل في البلاغ بقوله" لأنذر من كان حيا"، وهو القصد البريء من الذاتية النشطة في ثقافتهم.

ولكون معتقدهم ماديا يعبد المظهر: النار، دون عمق عقدي ،أتى المُرسل بعلامتين جديدتين: "أنذر" و"الكافرين".

وهما يرسمان صورة للعاقبة، ولصنف جديد يشير إليه معنى العلامة "الكافرين" فالكافر من: يطغى أمرا أو يحجبه، وهذا يحث المتلقي على المراجعة، والبوح بالمكنون، وإعادة مناقشة المعتقد الزائف، ليطفو إلى العقل لينظر فيه.

وتحمل العلامتان المتواشجتان "أَسْلِم تَسْلَم" تأسيسا جديدا لمفهوم السلامة والخلاص، الذي يكون هاجسا حاثًّا على التقصّي، فالإنسان بفطرته مُؤَثِر للسلامة، التي ترتبط في ذهنه بالأمن والاستقرار.

وهذه السلامة تتحقق بالإسلام وحده، ومن شأن هذا الحصر أن ينفي البدائل الأخرى المكافئة للسلامة في بنية المتلقي المعرفية، وأن يفرغ حيزها، لهذا العنصر المعرفي الذي يجلب حضوره السلام والسلامة.

ولكون تبعية الحاكم للمحكوم عقديا من مستقرات الثقافة في مجتمع الفرس، فقد انتقل إثم المجموع "إثم المجوس" إلى الحاكم "عليك".

هذا بحكم سلطته الحاجبة لنفاذية التغيير ،فهو يقف ظلا حاجبا أمام سلطة عليا، تملك المحاسبة، بشكل معادل لطبيعة الفعل، ففردية السلطة والقرار، تكافئ في حالة الإباء جماعية الإثم؛ لأنَّ الفرد المتجبر يظنُّ أنَّه هو المجموع.

وتنقل لنا الأحداث المواكبة لإرسال الرسالة إلى كسرى، اضطرابه الشديد، وهياجه عند قراءتها، وهذا لا يعني خللا في بنيته المعرفية، فالخلل قابل للإصلاح، والنقد، وإعادة الإنتاج، لكنه إباء لانسراب الدلالة بداخله في مسارها الفطري، بعد أن لمس عمق المغزى، فاضطرب لحدوث الأثر، وليس لانعدامه.

فكسرى الإنسان قد ذاب في صورة الملك الإله، وصارت مخاطبته على المستوى الديني المسيس القربي، تجريدا لا يقبله؛ لذا نراه قد فزع إلى صورة الملك صاحب السطوة، فأرسل جنوده يأتونه بصاحب الرسالة المُجترئ في مغالطة كبيرة، وهيهات، فقد دعا عليه النبيﷺ فتمزق ملكه، وباء بالخسارتين.

فموقف الإسلام من أصحاب الديانات الوضعية كالمجوس، موقف بنّاء قائم على مخاطبة الفطرة السليمة فيهم، استنهاضا لجهدهم في تحرير أنفسهم من عبودية الفكرة ذاتها، التي استقرت بطول الزمن، وتوارَثَها جيلٌ فجيل، دونما نقد أو إعادة طرح.

وهم يعلمون بحكم التجربة أنَّ النار لا تصلح معبودا، فهي لا تجيب داعيا، وهي ناقصة تحتاج للإيقاد والوقود، وليس منعها من الانطفاء، صفة بقاء، بل صفة فناء مؤجل لا أكثر؛ لذا نجد نص الرسالة لم يناقش مسألة عبادة النار، بل ألمح إليها بعلامة واحدة "المجوس".

وفي رسائله ﷺ إلى هرقل، والمقوقس، والنجاشي الثاني.

نلحظ تناميا دلاليا للعلامات، لوجود الصلة الثقافية العامة بين الأديان السماوية، التي خرجت من مشكاة واحدة، وعبدت إلها واحدا، وإن شابها تغير أو تبدل في دلالة "الإله"، وصفاته، أو إزاحة لوظيفة الرسول، ليتقدم كإله.

فالنموذج الأصلي للمعتقد قد تداخلت وحداته، وخرج من نصاعة الفطرة، إلى غموض التأويل الخاطئ، واستقر بحكم العُرف والزمن دون مناقشة.

والإسلام يعرض نفسه كنموذج أصلي سالم من التحريف، وهذا مناط قوله تعالى « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ »[1]، والعلامات "رسول"، "الهدى"، "يظهر"، "الكافرين" هي مرتكزات أساسية وردت في نص الرسائل جميعا من هذا المنطلق.

فالإسلام نسق عقدي ضابط للأنساق المعرفية للديانات السماوية الأخرى، وهو يحل محل نماذجها من خلال الإزاحة والاستبدال فلا يبقى سواه، أو يتأبى المتلقي على هذه العملية ويحول دون سيرها في مسارها، ويبقى في حيزه المعرفي المغلق المجافي للمنطق.

ومن عظمة الإسلام في تعامله مع أصحاب الديانات السماوية، أنه جعل لهم خصوصية تشريعية كالزواج من نسائهم، وخصوصية أجر تجلت في قول النبي ﷺ "أَسْلِمْ..... يُؤْتِكَ اللهُ أجرك

(١)سورة الصف،٩.

مرّتين"، مرة على اعتقاده السابق، ومرة على الإسلام إذا أسلم، وهذه المضاعفة في الأجر، حافز وخصوصية؛ لأنَّ من يدخل في الإسلام من غيرهم يُغفر له ما سلف ولا يؤجر عليه.

وتحمل العلامة "الأريسيّين" دلالة إنصاف الإسلام للمنصفين من أهل العلم من أهل الكتاب.

والأريسيون: فرقة ناهضت مبدأ التثليث عند النصارى، وأعادت النصرانية إلى نموذجها الأول، كديانة توحيدية، تعبد إلها واحدا.

وبمقارنة العلامات الدّالة على طائفة الملوك الدينية "المجوس- الأريسيين- القبط"، نلمس دلالة على احتمالية كون: هرقل منتميا إلى طائفة الأريسيين هذه، أو مُوحدا على معتقدهم.

فكان الأقرب إلى معتقده أن يؤمن بدين التوحيد الذي دُعي إليه، فهو قد أدرك الدلالة ومرماها، لكنه آثر البقاء -على الأحرى- في حيز معتقده، حفاظا على تقليد مجتمعه، الذي كانت فيه طائفة الأريسيين فرقة مخالفة للسائد، لكنّها تدور في مدار الديانة، ولا تستبدلها.

وتنقل لنا الروايات نمط استجابة هرقل الذي أصغى، وتحرّى، دليلا على ميله وخوفه في آن، فقد تحَرّى عن صفات النبيﷺ تحري العارف، الذي لديه أثارة من علم، وطلب شهودا ملا صقين يعرفونه عن قرب، فوقع على أبي سفيان، فلم يجد شيئا يحمله على الشك، فسلّم في النهاية بغلبة هذا الدين، وتنبأ بزوال ملكه على يديه، ولم يشأ مخالفة قومه الذين اعترض رهبانهم، وكثر لغطهم في مجلسه، فآثر البقاء على ما هو عليه.

وفي رسالة النبيﷺ للمقوقس تكرار لمسألة إيتاء الأجر مرتين أو مضاعفة الأجر، ربما من هذه الجهة، فيكون الأجر لمن أقام على التوحيد؛ لوجود فكرة التوحيد في الديانة المسيحية في معتقد طائفة مذكورة منها، وهم الأريسيُّون.

وآريوس زعيم الطائفة أعلن آراءه هذه في مصر، ولقيت مقاومة من القيادة الدينية، والعلامة "القبط" الواردة في خطاب المقوقس، تتصل بسابقتها "الأريسيين"؛ لأنَّ المنطق يدل على اتصال العلامتين في الثقافة الدينية المصرية.

ويوحي رد فعل المقوقس بتسليم، ورغبة في إمهال؛ لأنَّه لم يكن ملكا بشكل كامل وإنما زعيم ديني لطائفة ،في ولاية رومية ذات حكم ذاتي، يحميها الروم، ويضبطون شأنها العام، وداخل في الشأن العام مسألة الديانة.

و قد كان القبط مخالفين للروم البيزنطيين في ا لمذهب لا في الد يا نة ذا تها، فلم يكن يملك المقوقس أمره، وخاف العاقبة، ولم يُسلم، كهرقل تماما بتمام، وإن كان قد أظهر كرما وحفاوة بإكرام الرسول، وإرسال الهدية إلى النبيﷺ مُتخذا موقفا وسطا يسوغ في السياسة، ولا يسوغ في الدين.

وقبول النبيﷺ لهدية المقوقس رغم إقامته على دينه، مظهر من مظاهر سماحة الإسلام مع المخالفين له في الاعتقاد، وقبوله لأساليب التواصل الإنساني في التهادي ،وإظهار الود.

ونظرا لما بين الإسلام والديانات السماوية من تقارب ومعرفة أصحابها بتوحيد الله وذكر النبيﷺ في كتبهم ،أو بقاء ما يدل عليه بعد تحريفها، من آثار يُبنى عليها البعث الجديد، ساغ أن تُضمن رسائلهﷺ إلى هرقل، والمقوقس آية من القرآن.

والآية هي: قوله تعالى « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»[1]،بحذف "قل" ووصل الآية بنص الرسالة، إظهارا لحضور المُبلِّغ، وامتثاله لأمر البلاغ.

وهذه الآية لا تناقش جديدا، بقدر ما تسعى لتغيير انحراف شابَ الأصل، وهو مكمن الكلمة السواء التي تكون الدعوة إليها "تعالوا إلى كلمة سواء".

فهذا مسعى لتدعيم المشترك العقدي وتصويبه من خلال النموذج الإسلامي السالم من التحريف، بإفراد الله تعالى بالعبادة، فلا يدخل معه أحد، فهذه إزاحة لمبدأ التثليث في مسار التصحيح العقدي.

---

(١)صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، المكتب الإسلامي، د.ط، د. ت ،٤٥٥٩.

ويدل قوله "ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا..." على أنَّهم كانوا يرفعون رهبانهم مراتب الربوبية لا بإدخالهم في اللاهوت كعيسى عليه السلام، ولكن بأفعال تعبدية، كأن يغفروا لهم أو يصرفوا إليهم تعبدا ظاهرا.

وهذا التعدد "أربابا"، يعكس خللا كبيرا في ضبط مفهوم الرب لديهم بحيث تعدى للعباد، وهو ما يسعى الإسلام لضبطه، فإذا تم ذلك صاروا إليه، وإن تولوا وأعرضوا، أُشهِدوا من قِبل المسلمين بلزومهم العقيدة الصحيحة التي جاء بها الإسلام وإقامتهم عليها.

ولخصوصية الحبشة كمجتمع نصراني، حافظ على مبادئ الإنسانية كالعدل، حتى عُرف ملكهم (النجاشي الأول)[1] بأنَّه لا يُظلم عنده أحد، ولصلاحية بيئتهم لاستقبال الآخر المخالف في الاعتقاد، هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة وبقوا آمنين.

وقد جاءت استجابة النجاشي الأول إيجابية غايرت أنماط الاستجابة عند كسرى وهرقل والمقوقس، وهي الاستجابة المتدرجة من: الرفض إلى الثناء والهدية والإكرام.

فأسلم النجاشي على يد جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنهما-، وقبل تصحيح معتقده، وإحلال النموذج الصحيح (الإسلام)، محل النموذج القديم(النصرانية المُحرّفة)، وحسن إسلامه، وصلى عليه النبيﷺ صلاة الغائب، قضاء لحقه في جماعة المسلمين، بأن يُصلى عليه، وهو من فروض الكفاية، التي لا يمنعها غياب الميت أو بعد الدار، فسنت بذلك صلاة الغائب.

فمجتمع المسلمين يشارك فيه كل مسلم وإن نأى عن ديار الإسلام، ويضرب فيه بسهم، وتنعقد له حقوق مكافئة لواجباته، فهو حاضر، وإن غاب جسده، معذور إن لم يُهاجر لظرف مانع، وضرورة مقيدة.

---

(١)أصحمة ملك الحبشة ،معدود في الصحابة، كان ممن حسن إسلامه، ولم يهاجر، ولا له رؤية ،فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، توفي في حياة النبيﷺ ،فصلى عليه بالناس صلاة الغائب. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت: الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة -بيروت،ط:٣ ،١٩٨٥م ،١/ ٤٢٨.

وليس أدل على سماحة الإسلام من أنَّ النجاشي الأول يَعدُّه البعض تابعيا، وقيل: صحابي ليس له رؤية، فالمواطنة في الإسلام ليست على درجات، ولا تأثير فيها لعنصر الشخص، أو لونه، أو خلفيته الثقافية السابقة.

فالنجاشي الأول حاز الأجرين: الإ سلام، و سلامة الملك، وأُقر على ملكه، ولزوم وطنه دون أن يتغرب، أو يُكلف ما لا يُطيق، بتقديم النصرة رغم مسيس حاجة المسلمين إليها وهم يومئذ قلة يخافون الناس، ويفرون بدينهم.

والنبيﷺ حين أرسل رسائله إلى الملوك والأمراء كان هدفه الدعوة، وتصحيح المعتقدات، لا جلب النصير، أو طلب المدد، وهو قد صالح قريشا صلحا مشروطا، عدّه بعض الصحابة كعمر تنازلا أو قبولا للدنيّة، وليس ذلك إلا ليفرغ من الاشتباك الإقليمي، وينصرف عن عصبة الكفر القرشية التي تنهزها العصبية الضيقة؛ ليواصل تبليغ رسالته، التي كانت وسيلته فيها القلم والحجة، لا السيف والتُرس.

وقد سمّى الله تعالى الحديبية فتحا في قوله « إنا فتحنا لك فتحا مبينا....»[1].

فكل حقن للدماء، وكل فرصة للدعوة، هي فتح ونصر، تتسع به آفاق الإ سلام، ولو كان الإسلام دينا دمويا، تنشره الخيل المغيرة، والسيوف المصلتة، لمّا سميت الهُدنة يوم الحديبية فتحا، وفي موازين القوة وعلى امتداد الزمن كان المسلمون الفاتحون قلة، وكان المبدأ المصالحة على الإ سلام أو الجزية، وتأتي الحرب كوسيلة لا غاية آخرا، وباختيار الآخر الذي لا يقبل الشرطين .

ومن منطلق المبادئ الإسلامية المترقية في إنسانيتها، ولليد السابقة لنجاشي الحبشة الأول، ولوجود المشترك الذي يبنى عليه بين الإسلام والمسيحية، جاءت رسالتهﷺ إلى النجاشي الثاني حاملة لمغايرة دالّة، وخصوصية بائحة؛ حيث جاء السياق متصلا دون تحولات، وتوالدت المعاني واتصل نموها دون معوقات؛ لوجود مسار سابق رسمت حدوده الرسالة الأولى للنجاشي الأول؛ حيث نلاحظ ما يأتي:

---

(١)سورة الفتح،١.

جاء حمد الله تعالى بأسمائه الحسنى بعد فصل الخطاب "أمّا بعد" في مغايرة للرسائل الأخرى، وهو ما يحمل دلالة على وعي سابق احتاج تنبيها لا تأصيلا، على خلاف ما نراه في رسالة كسرى التي تصدّر فيها ركنا الشهادة لجهل المخاطب فاحتاج للإخبار.

الأسماء الحسنى المُضمنة "السلام-المؤمن-المهيمن" علامات حملت دلالة متسقة مع مضمون الرسالة، ومتعالقة مع النسق المعرفي السائد في مجتمع الحبشة.

"السلام": السالم من النقائص والعيوب.

وفيه إشارة إلى الكلمة السواء بين الإسلام وأهل الكتاب بعبادة الله وحده وترك عبادة المخلوق الناقص.

"المؤمن": مُؤمّنُ خلقه، ومانع ظلمهم.

فهو وحده كافل السلامة التي تكون بطاعته، وانضواء الخلق تحت عبوديته، متساوين لا يسطو قويهم على ضعيفهم.

"المهيمن": الحافظ الرقيب.

فهو سبحانه الرقيب الذي لا يخفى عليه تقلب القلوب، وتحولها.

وورود هذه العلامات المتصلة المختزلة، وتضمنها لمعنى السلامة، أدى الدلالة التي كانت تؤديها جملة "أسلم تَسْلَم" في سابقاتها.

وتضمنها لمعنى الحفظ والرقابة أدى دلالة "فإن توليت فعليك إثم....".

وربما يكون هذا هو سر اختفاء الوحدتين في رسالة النجاشي الثاني، وهو ما جعل السياق ينساب رشيقا لانعدام العوائق التي تحتاج لمعالجة أو مناقشة، فالدلالة تنسرب في حيز مفتوح لا تعترضه عوائق من جهة المُخاطب.

كما نلاحظ تقدُّم جملة "وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته....."،على "فإني رسول الله....."

وتقديم الشهادة بأن عيسى روح الله وكلمته، ليس تعريضا بعبادتهم لعيسى عليه السلام، بقدر ما هو تأشير على المشترك العقدي، وتدعيم له.

وتحمل العلامة :الموالاة في قوله "والموالاة على طاعته" دلالة المتابعة على ما كان عليه سابقه النجاشي الأول.

والعلامة: توقن في قوله "وتوقن بالذي جاءني" دالة على زيادة إيمان ،ومنع من التحول.

وقد عيّن النبيﷺ مقصوده من الرسالة الموجهة إلى النجاشي الثاني بأنها نصيحة "فاقبلوا نصيحتي....."

وختم بالسلام "والسلام على من اتبع الهدى" وهي علامة ألفة واتفاق ومحبة.

والشاهد أنَّ الإسلام لا تتبدل مواقفه أو تعروه تحولات، وإنما كانت غايته إبقاء هؤلاء الملوك في حيز الاستجابة، وبيان أن الدعوة ممتدة، لا تنقضي- بموت ملك أو زعيم، فهي دعوة عامة تشمل الناس جميعا، والزمن كله، وقد أشّر على ذلك بقوله" أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل"، فهو وغيره مدعوون، إلى اتصال الموالاة، والثبات على صحة الاعتقاد، وعدم الانتكاس بالعودة إلى المعتقد القديم المنحرف.

أمّا رسائلهﷺ إلى أمراء العرب فقد اتسمت بصبغة خاصة، وحملت دلالة خاصة أيضا، فقد كان هؤلاء الأمراء في الحقيقة عمالا استقطبتهم القوى الإقليمية الكبرى :الروم والفرس كالحارث بن أبي شِمْر الغساني، والمنذر بن ساوَى، أو زعماء محليين :كهَوْذة بن علي الحَنَفِيّ زعيم اليمامة، فكانوا يرون أن بقاء ملكهم أو إمارتهم مرهون بالتبعية للقوى الكبرى.

لذا نجد نص الرسائل الموجهة إليهم يؤشر على مسألة بقاء الزعامة، ونقل التبعية إلى النظام الإسلامي باشتراطاته، فتتكرر جمل:

" يبقى لك ملكُك"،" وأجعلُ لك ما تحت يديك"،" يجعل الله لك ما تحت يديك" ،وكلها مشروطة بالإسلام.

ولعلم النبيﷺ بطبيعة حكم هؤلاء الأمراء، وتبعيتهم للنظم الكبرىٰ سياسيا، وعقديا، فقد أرسل رسالته إلىٰ الحارث بن أبي شِمِّر بشكل متزامن مع رسالته إلىٰ هرقل، حتىٰ يرجع إليه، وسبقته الرسالة إلىٰ هرقل بقليل، فإنه لما أراد إخباره، كان الرسول ما يزال عنده.

وقد اهتاج الحارث في بداية الأمر، ووقعت منه جملة "ويبقىٰ لك ملكك" موقعها، فصاح مستنكرا: من ينزع مني ملكي، واستعرض الخيل، وعزم أن يلقىٰ النبيﷺ ،لولا أنّ هرقل ثناه عن ذلك، وأُجِّزلت العطايا للرسولين وصُرفا، وقد أدرك الحارث الإسلام فيما بعد بقليل.

وكانت الحال كذلك لتبعية المنذر بن ساوَىٰ (ملك البحرين) لكسرىٰ، فإنَّه طلب النَّظِرة للتَّدَبر؛ ليستشير الفرس، لكنّه أسلم، وأبقاه النبيﷺ علىٰ ملكه.

فقد بلغ المنذر بطبيعة الحال ما حدث لكسرىٰ، من تمزق الملك، فخاف علىٰ ملكه، وهداه الله للدين الصحيح.

أمّا هوذة بن علي الحنفي فكانت له علاقات متوازنة مع الفرس والروم، يستشيرهم في الأمور، فاستدعىٰ الأمر أن تأتي مراسلته بعد مراسلتهم، حتىٰ إذا استشارهم أخبروه بما لديهم، وما وقفوا عليه من دلائل صدق نبوتهﷺ، إلا أن هوذة لم يُسلم، وباد ملكه.

والشاهد أنَّ العرب كان منهم الوثني، والنصراني، والمجوسي نتيجة لاستقطاب القوىٰ الكبرىٰ، وأثرها الثقافي، وكان زعماؤهم يتخذون من سياسة موالاة القوىٰ الكبرىٰ ضمانة لبقاء زعامتهم، واستقرار نظام حكمهم، فكان خطاب الإسلام للقوىٰ الكبرىٰ فصما لهذه التبعية، ودعوة للانفكاك من براثنها، وتوحيدا للعرب علىٰ راية دين واحد.

والإسلام لم ير في هذه الإمارات التابعة منقوصة السيادة حيزا يمكن تجاهله، وتجاوزه إلىٰ حيزه الأكبر الذي يأتمر بأمره؛ لأنَّه يريد أن ينفي التبعية لا أن يؤكدها، مع ترك باب المشورة، وتدبر الظرف الزمني والأحداث مفتوحا أمام هؤلاء الأمراء؛ ليتخذوا قرارهم، ويستوثقوا مما أتاهم.

وفي الإجمال لم يكن موقف الإسلام من الديانات الأخرىٰ وضعية أو سماوية موقف المُنذر بالخيول المغيرة، المستعرض لقوته، وإنما كانت وسيلته الحجة، وسبل التواصل المعروفة في زمنه،

بالمراسلة، ولم تنطو دعوته على إكراه أو تهديد، وإنما عرض وتبصير، ونصيحة، تتحقق بها السلامة للآخر المخالف، ويبقى في حيز ملكه آمنا، دون إزاحة، أو إجلاء، أو عزل.

وقد قبل ﷺ هدية من أهدى جريا على العرف، وقدّر إكرام الرُسل وأجاز وصلَهم بالعطاء من جانب المُرسل إليهم، فكان موقفه منضبطا موافقا لعرف زمنه، وعاداته.

وقد كشفت بعض ردود أفعال الملوك والأمراء المُخاطبين بالرسائل رعونة وهمجية، ولجوءًا غير مبرر للقوة، باعثه التجبر، وانعدام التحضر، فحرّك كسرى جنوده، واستعرض الحارث الغساني خيله، في نية عدوان واضحة، تأتي ردا على رسالة سلمية، تحمل معاني السلام والهداية والنصيحة.

ولعل من أمارات البغي والهمجية قتل بعض الملوك ممن لم نذكرهم للرسل أنفسهم، في فعلة شنعاء، مجافية لكل عرف إنساني، وقطعا لكل تواصل، وإعلانا للحرب من طرف واحد.

وكل هذه الشواهد دال على سماحة الإسلام، وتحضره، وإنسانيته، بحيث لا يسوغ أن يُتّهم بغلو، أو عنف، وإنما العنف والغلو والبغي سمة المتجبرين لا سمته.

المطلب الثاني- وسطية الخطاب الدعوي في الرسائل النبوية:

تدور المعاني اللغوية للفظة "الوسطية": حول العدل، والاستقامة، والقصد.

والوسطية في الأصل تعنى البينيّة، فهي وسط بين طرفين أو جهتين.

وفي المصطلح الفلسفي تتلاقي الوسطية مع مفهوم الفضيلة عند أرسطو في كونها: وسطًا بين طرفين مذمومين.

وفي تفسير « وكذلك جعلناكم أمة وسطا....»[1].

أنهم: مُتَوَسِّطُونَ فِي الدِّينِ بَيْنَ الْمُفْرِطِ والْمُفَرِّطِ والغالِي والْمُقَصِّرِ؛ لِأَنَّهم لَمْ يَغْلُوا كَما غَلَتِ النَّصارى فَجَعَلُوا المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، ولَمْ يُقَصِّرُوا كَما قَصَّرَتِ اليَهُودُ فَبَدَّلُوا الكُتُبَ واسْتَخَفُّوا بِالرُّسُل[2].

فالوسطية أقرب لسمة عامة تستخلص من الاستقراء المُجمل للعقيدة الإسلامية ومبادئها وأصولها ومفاهيمها وأخلاقها.....

كما أنها تعني من الناحية المعرفية أو آلية المعرفة اعتماد « أدلة العقل دون نبذ أدلة الحس والخبر الصادق ومنه الوحي.....والبعد عن التقليد الأعمى للأجداد وأئمة المذاهب الوضعية دون سند عقلي أو حسي أو خبر صادق »[3].

والدعوة في اللغة: « المرّة الواحدة من الدعاء، والدعاء الرغبة إلى الله تعالى، والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة »[4].

ويطلق الخطاب الدعوى على كل فكر متكامل مستقى من أطر مرجعية دينية، ويتبنى استراتيجية واضحة تراعي طبيعة الجمهور المستهدف، وتوقيت الدعوة.

---

(١)البقرة،١٤٣.

(٢)تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ط، ٢٠٠٨م، ص: ١٨/ ١٩.

(٣)الوسطية في الإسلام ،عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، مؤسسة الريان-بيروت ،ط: ١، ١٩٩٦-م، ص:١٥ (بتصرف).

(٤)لسان العرب، دعا.

أمّا الفعل الدعوي : فهو فعل منظم ينشط في اتجاه التأثير والإقناع، من خلال المحتوى والأسلوب ويتصف بالمرونة وقابلية التجديد على مستوى الإجراءات والأساليب، والأصالة المتمثلة في مراعاة الأصول الدينية.

وترتكز الدعوة على محورين: الأول: ترغيبي، والثاني: تحذيري مانع من الزيغ، والانحراف.

والدعوة علم يختص «بالمحاولات الفنية الهادفة إلى تبليغ الناس الإ سلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق »[1]، وهي أيضا فن قائم على ح سن التأتي للمُخاطب بغية الو صول به إلى الاقتناع بمحتوى الدعوة، وضمان تأثره وتفاعله.

وقد كان من الطبعي أن يأتي الخطاب الدعوي في الرسائل النبوية منطبعا بسمة الوسطية، باعتبار الرسائل نماذج من السنة النبوية، تحمل سمات الدين، أو بالأحرى تشكلها، وتنطق بها، مُنتجة نماذج حية لأسلوب الدعوة، ومرجعية لكل خطاب دعوي يستن بها، ويتابع طريقتها.

وتتوزع ملامح الوسطية في الخطاب الدعوي على مستويين، أحدهما كيفي(مضموني)، والآخر فني تعكسه العلامات وتشير إليه، وقد اتسم مضمون الخطاب الدعوي في الرسائل بسمات: الوضوح -الأصالة-الواقعية-المرونة.

كما حملت العلامات اللغوية دلالته متمثلة في: القصد الذي استدعى التكثيف الدلالي، والاعتدال الذي تجلي في اللغة الانفعالية المعتدلة، والتمايز الدلالي العام والذي تنقسم فيه الألفاظ إلى ثنائيات ضدية مجسدة لمعنى البينية في الوسطيّة، وهو ما أعرض له فيما يأتي من محاور:

المحور الأول- على مستوى المضمون:

جاء المضمون موجزا، عبّر عنه الداعيﷺ باللفظ الواضح، غير الملتبس، وراعي فيه الفصاحة دون الإغراب، وقد جاء التأشير على جملة الدعوة بالصورة التي تسترعي الأذن، وتجذب الانتباه "أَسْلِم تَسْلم".

---

(١)الدعوة الإسلامية: أصولها، ووسائلها ،أحمد غلوش، دار الكتاب المصرى-القاهرة، د.ط، ١٩٨٧م، ص:١٠.(بتصرف يسير).

وصدّرﷺ ركني الشهادة في رسالته إلى كسرى، تنبيها أو إخبارا مراعاة لحال المُخاطب، الذي كان على ديانة وضعية، لا تربطها بالإسلام كديانة سماوية أية روابط أو قواسم مشتركة، يمكن البناء عليها.

وتعضيدا لهذا الوضوح ضُمنت آية قرآنية مُلخصة للمعنى الكلي، في رسالتيهﷺ إلى هرقل والمقوقس، تأكيدا للمعنى، وإحالة على النص القرآني الذي جاء المضمون ترجمة له.

كما انسابت الدلالة في مسارها من خلال بنية الخطاب على المستويات كلها، دون استشعار لثغرة، أو الوقوع في تناقض، أو ارتباك، فجاءت الأفكار مرتبة متسلسلة منطقيا لترسو راشدة على شاطئها، وتبلغ مرماها.

كما عرض الخطاب لمبادئ الوحدانية-مفهوم الإسلام "دعاء الله"-كيفية الدخول فيه ببيان ركني الشهادة-عاقبة الاتباع-عاقبة الإعراض في إيجاز.

وهو ما يستخلص منه أنَّ الفعل الدعوي في بدايته يجب أن ينطلق من بيان الأصل الأول وأول الأركان وهو الشهادة، فإذا اقتنع المدعُو، دخل في الإسلام بنطق الشهادتين، ولا يسوغ الإثقال عليه من البداية بتفصيل بقية الأركان؛ لأنَّه يعلمها بعد ذلك، أو يطلُبها، فيتم تعليمه.

ويظهر ملمح الأصالة في كون وحدات الخطاب مستقاة أو تم تشكيلها من الآيات القرآنية نص الإسلام الأول، فالداعي لم ينشط من نفسه، وإنما بلاغا للرسالة، وهو قد أدى معانيها بلفظه، وضمّن أكثر مما ألّف، إبرازا لعملية التبليغ التي تتطلب وجود الحدود والمرجعيات، وإلا اضطرب الأمر، وانفصل الداعية عن سربه، ونفد معينه، وافتقد مصداقيته، فكلما كان خطاب الداعية متماسا مع النص القرآني، ونصوص السنة زاد خطابه ثراء، ومصداقية، وأصالة مانعة من الزيغ، والانحراف عن الجادة.

وقد اتسم خطابهﷺ بالواقعية التي تمثلت في مراعاته لتوقيت الرسائل ذاته، فلم يرسلها وهو في ساحة القتال، وإنما بعد فراغ منه بعد الحديبية، وأرسله وللإسلام قوّة ولكيانه بروز، حتى لا تكون الرسالة من مجهول، أو ضعيف.

وراعىﷺ ألقاب المُخاطبين وثقافتهم، جريا علىٰ عُرف المرا سلة، و سعيًا لتدعيم المُشترك، لا تكريس الخلاف، فنظر لنقاط الاتفاق، وبنىٰ عليها، وأبلغ وأشهد.

وتظهر سمة المرونة في خطابهﷺ في طريقة العرض السلسة، وإتاحة الاختيار، وبيان العواقب، دون شبهة تشدد، أو نبرة انفعالية عالية، فهو لم ينزل علىٰ أهواء الملوك والأمراء فيوافقهم، أو يداهنهم، ولم يستثر في الوقت ذاته غ ضبهم، أو يقتحم خ صو صيتهم، بل ترك الأمر في أيديهم يختار كل واحد منهم ما يراه، في ضوء ما دُعي إليه، فَخَلىٰ الخطاب من التهديد، أو الوعيد من قِبَل المُر سل، الذي قدّم نفسه في صورة الناصح لا الآمر، واستبقىٰ آصرة المُسالمة، وقبل الهدية.

المحور الثاني- على المستوى الفني:

اختار الداعيﷺ قالب الر سالة، النثري المُوجز و سيلة لنقل المحتوىٰ الدعوي ،وتجلت سمة الوسطية في لغة الخطاب علىٰ مستوىٰ:

- اللفظ المكثف كصورة من صور القصد والتكثيف تخفيفا علىٰ المُخاطب.

- توازنية الألفاظ علىٰ المستوىٰ العام، بحيث تمايزت إلىٰ قسمين متناقضين، فيهما دلالة البيان للطريقين، والنجدين، والعاقبتين.

- اللغة الانفعالية التي مالت إلىٰ اللين، والتّلطف، وعكست صورة للاعتدال، وعدم الغلو، والدعوة بالحسنىٰ.

وفيما يأتي بيان ذلك:

١-الكثافة الدلالية للألفاظ:

لا شـك أنَّ التكثيف الدلالي من خلال تعدد عطاءات العلامة الواحدة يكون أظهر في حالة النصـوص المختزلة؛ لأنَّ الفوارق تتضـاءل بين الوحدات البنائية، فالجمل تقصر، وتندغم بسـلطة الاختصـار، وهنا تظهر وظيفية اللفظ بشـكل أوضـح، ويكون حمله لأكثر من دلالة تكثيفا يعكس معيار القصد من جانب المتكلم والمخاطب، فالأول يحقق منحاه الإيجازي، والثاني يقف علىٰ الدلالة من خلال علامة واحدة فلا تتشعب به السبل، فإنَّ كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، فكان لابد أن

تعمل آليات التكثيف والاختزال من هذا المنطلق، وتكون الفائدة أن يكون الخطاب الدعوي مختصرا، مكثفا تخفيفا على المتلقي، وبقاء للأثر المقصود.

ويتحقق التكثيف الدلالي على مستوى العلامة المفردة بأن تكون العلامة المختارة:

- حاملة لأكثر من دلالة معجمية.

-أو دلالة معجمية وأخرى سياقية.

ومن نماذج ذلك:

العلامة: عَبْد وتعني:

على المستوى الإفرادي" المملوك خلاف الحر".

وبإضافتها إلى لفظ الجلالة "عبدالله« اكتسبت معنى سياقيا أكثر عمومية؛ لتدل على: « الإنسان حرّاً كان أَو رقيقاً، يُذْهَبُ بذلك إِلى أَنه مربوب لباريه، جلَّ وعزَّ »[1].

فالعلامة الواحدة "عبد" حملت معنى تداوليّا معروفا في بيئتها، وآخر جديدا من خلال السياق.

العلامة "رسول" وتعني:

على مستوى الإفراد: حامل الرسالة.

وبإضافتها للفظ الجلالة "رسول الله" صارت بمعنى نبيه.

والملحظ أنَّه عدل عن نبي الله إلى رسول الله لاتصال "رسول" بالرسالة والبلاغ، وتضمنها لمعنى النبوّة؛ لأنَّه لا يكون رسولا إلا وهو نبي ،والنبيﷺ قد لا يكون مأمورا بتبليغ .

العلامة "سلام" وتعني:

التحية

السلامة من كل أذى.

فحملت بذلك معنى التحية، ومعنى السلامة المشروطة باتباع الهدى.

العلامة "الهُدى"، وتعنى:

---

(١)لسان العرب، عبد.

النهار

الرشاد

الطريق المستقيم

الهادي

فجمعت بذلك معاني: الاستنارة-الرشاد، ضد: الضلال- وسلوك الطريق المستقيم الموصل لغاية الفلاح- واتباع الهادي وهو الرسول.

العلامة "شريك"، وتعني:

المُشارك في الصحبة.

فالله تعالي لا مصاحب أو ملازم له بمعنى المخالطة، فيكون لا إله معه، ولاصاحبة له، ولا ولد له.

المشارك في المُلك والمِلك.

فلا يملك أحد في ملكه إلا بإذنه، وفيها تعريض باغترار الملوك بملكهم، وإيذان بانتهائه إن لم يخضعوا لمالك الملك.

العلامة "حيّ"، وتعني:

من على قيد الحياة خلاف الميت.

كل متكلم ناطق خلافا للجمادات.

فجمعت العلامة حياة النفس، وحياة العقل والحواس، وكلاهما من متطلبات الدعوة؛ لأنَّ الميت لا يُدعى، وخامل العقل وفاقد الحاسة عصي عليها.

العلامة "نصيحة"، وتعني:

النُّصح أي: الصدق المناقض للغش.

جملة يراد بها الخير .

فجمعت العلامة الواحدة معنيي: الصدق، وإرادة الخير.

العلامة "أنذر" و تعني:

الإعلام-التحذير تماما للبلاغ، ولكون دفع الضرر مقدما على جلب المنفعة.

العلامة "البتول" في صفة مريم عليها السلام، وتعني:

العذراء المنقطعة عن الزواج.

العابدة المُختلية المنقطعة عن الناس.

فجمعت العلامة معنى: العفة، وكمال العبادة لله تعالى.

العلامة "الكافرين" ،وتعني:

الجاحد-الحاجِب-الآبي-نقيض المؤمن.

وكلها صفات لصنف من الناس: يجحد نعمة الله ويحجب نور رسالته عن النفاذ لقلبه ويتأبّى على الحق حتى يصبح كافرا بالمعنى الاصطلاحي المناقض لمؤمن.

العلامة "جنود"، وتعني:

الأَعوان والأَنصار.

عسكر

فجمعت الملأ من مستشاري الملك، وعسكره ،وهم صفوة القوم، وأصحاب البأس، وضمهم في جملة "أدعوك وجنودك" من رسالته للنجاشي في علامة واحدة.

٢-توازنية الألفاظ:

تمايز الألفاظ إلى قسمين متناقضين دلاليا يعكس وسطية الخطاب بمعنى البينية بين جهتين، ولكون الخطاب الدعوي قائما على توازنية الترغيب والترهيب من جهة، ولمنطق وجود لونين من ألوان الاستجابة لمضمون الدعوة، إيجابا، أو رفضا، واختلاف الجزاء باختلافهما من جهة أخرى.

فالداعية لم يتخذ سبيل الإنذار والتحذير والإيعاد، وإنما طرح فكره الدعوي، وحاول إقناع المخاطب به، ثم بين له الأجر إذا استجاب، والعقاب إذا رفض، وظهر ذلك في صورة ثنائيات ضدية تتعلق بمسائل الثواب والعقاب، الطاعة- المعصية، الوحدانية والشرك، الإسلام والكفر، بقاء الملك وزواله، يمكن رصدها على مستوى الألفاظ فيما يأتي:

ثنائية الثواب والعقاب:

يبقى –زائل ،أجر–إثم ،تسْلَم–يحق القول.

والعقاب والثواب تعلق بالدنيا والآخرة: ببقاء الملك وزواله، والأجر والإثم، والسلامة والهلاك.

ولعل من الأخطاء الدعوية الشائعة اقتصار الخطاب الدعوي على الغيبيات، وأمور الآخرة، دون اتصال بالواقع ومناقشة قضاياه، وأحداثه، وبيان موقف الإسلام منها، وإيجاد حلول من منظوره.

ثنائية الطاعة والمعصية:

آمَنَ صدّق–أبَيْتَ تولّيت.

حيث يظهر التناقض على مستوى الأفعال المتمايزة إلى قسمين، الأول يتعلق بالطاعة، والثاني يتعلق بالمعصية والرفض.

وصِنْفا الأفعال الواردة يعكسان جهدا من قِبَل المُخاطب، وفيهما دلالة على كفالة حرية الاعتقاد، إعمالا لمبدأ "لا إكراه في الدين"، فالداعية يبيّن ويحبب ويستحث لكنه لا ينتج اعتقادا، أو يصنعه أو يفرضه، وعلى المخاطب المَدعُوّ أن ينشط متأثرا بالفعل الدعوى لإحداث التغيير في نفسه، وهو تغيير يتطلب وقتا، فلا يُعجَل؛ لأنَّ النبيﷺ دعا هرقل، والمقوقس، وغيره وقبل منهم النّظرة ليستبينوا الأمر، وقبل هدايا بعضهم.

ثنائية الوحدانية والشرك:

وحده–شريك

فالأولى حملت دلالة إفراد وقصر–للألوهية على الله سبحانه، والثانية: جاءت لنفي الشريك "لا شريك..."؛ لأنَّ من أصحاب الديانات من يؤمن بالله ويشرك معه غيره، وسدا لأبواب الشرك ومداخله.

ثنائية الإسلام والكفر:

مُسْلِمُونَ–الكافرين.

وهما الفريقان المتمايزان في النهاية، فلا يصح أن يواجه الداعية المخالفَ في العقيدة بصفة الكافر، حتى يدعوه، ويتخوله بالعظة، إلى أن يظهر منه إنكار أو محاربة، فإنه ﷺ في رسائله لم يقل للمدعُو أنت كافر منبوذ مستحق للعذاب، وإن لم تؤمن يحدث لك كذا وكذا.

ثنائية بقاء الملك وزواله:

يبقى لك ملكُك- ملككما زائل عنكما.

وظهور هذه الثنائية في خطاب الرسائل يتصل بمغزى سياسي، فالإسلام سوف يمتد " ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر"،" وتظهرُ نبوّتي على ملكِكُما"، لا كدعوة دينية، بل كنظام شامل، يحوي السياسة والعقيدة، وهذا الامتداد لن يكون في الفراغ، ولكن خلال أنظمة سياسية موجودة بالفعل، فهو يولي ويعزل من هذا المنطلق، وهو لا يزيح هذه الكيانات، وإنما يستوعبها، ويحترم في الوقت ذاته خصوصياتها الثقافية، وطبيعة الزعامات فيه.

٣-اللغة الانفعالية:

تحمل الألفاظ دلالة نفسية انفعالية فضلا عن دلالتها المعجمية والسياقية، وهي دلالة تتعلق بحس اللفظ، أو أثره النفسي- على المتلقي، وللُّغة « وظيفة عاطفية هي التعبير عن العواطف والانفعالات وإثارة المشاعر والتأثير في السلوك الإنساني »[1]، وفي إطار هذه الوظيفة تعمل الألفاظ كمرايا عاكسة للدلالة النفسية، فبعضها يثير مشاعر الفرحة أو الحزن، وبعضها يطفو خفيفا، أو يرسب في العمق، تبعا للتأثير الذي يصيب الوعي واللاوعي.

وتُشحن الألفاظ بطاقات نفسية مختلفة؛ لتحدث تأثيرها في المُخاطب، ولتتشكل الدلالة على المستوى النفسي، من خلال الألفاظ المختارة التي تعمل كمثيرات لمشاعر معينة، بحيث يمكننا أن نتحدث عن معجم نفسي، وحقول دلالية نفسية، تعكس الدلالة على مستوى الانفعال، الذي يحدث في نفسية المُخاطب:

---

(١)اللغة الانفعالية بين التعبير القرآني والنص الشعري، عطية سليمان أحمد، الكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة،ط:١ ،٢٠٠٧م،ص:٣٥(بتصرف يسير).

الانفعال: الاطمئنان والسكينة:

العلامة: الرحمن-الرحيم- سلام-آمن.

حيث انتظمت العلامات في نسق دلالي انفعالي واحد؛ لإحداث أثر مقصود، فاستشعار السلام، والأمن، والرحمة من شأنه إحداث الأثر في القلب والجوارح، والشخص الذي تتدعم هذه الاحتياجات النفسية الأساسية لديه، تنبسط أساريره، وتُكبح عدوانيته، ويصبح عقله مؤهلا لاستقبال المعنى، والوقوف على الدلالة؛ لذا كان لمثل هذه الألفاظ دور مُمهد، تمثل في تهيئة نفسية المُخاطب، فتصدّرت، قبل الأخذ في عرض الفحوى .

فالخطاب الدعوي لا ينبغي أن يكون خطابا جافا، يهجم فيه الداعي على غرضه دونما تمهيد، وتهيئة للسامع، ووصل لأسباب المودة ؛لأنَّ الخائف لا يكتمل استيعابه، ولا تنضبط ملكات الاستقبال والوعي في نفسه.

الانفعال: الخضوع والامتثال:

العلامة: تتّبعني- تؤمن -صدّق -تُوقِن- طاعته

الخضوع والامتثال ناشئ في الأصل عن قناعة بمعروض "تتبعني"، والقيمة المعروضة ينظر فيها بالعقل والذوق، فترسب في العمق (الوجدان) "تؤمن"، ثم تنعقد في الصدر فلا تطفو للمناقشة، وتكون قابلة للثبات لا التغير "صدّق- تُوقِن"، فكل تغير نفسي يساوقه تغير سلوكي، وتطور في آلية المعرفة ذاتها، بحيث تصبح سلوكيات الفرد مظهرا للمَخْبر العقدي، ليدخل في حيز أخلاقي جديد "طاعته".

الانفعال: الخوف:

العلامة: أُنذِر

من شأن الإنذار وهو تحذير المخاطب من مكروه ينالُه، أن يوقظ غريزة الخوف لديه، وهو خوف إيجابي حافز، يستثير ملكات الا ستقبال، ولا يعطلها، فالخوف دافع أصيل للتحرى والوقوف على سبل تلافي المكروه.

ولا مناص للداعية بغية تمام الإقناع أن يثير خوف المُخاطب بحساب، استنفارا لوعيه، لا بغية تخويفه، أو إرهابه.

الانفعال: الامتنان:

يُؤْتِكَ-أجرك-مرّتين

فالإيتاء والأجر والمضاعفة "مرتين" محفزات نفسية، تثير غريزة الطمع، وتحفز الفعل على المستوى السلوكي لتبيُّن السبل الموصلة لهذا العطاء، وهذا الطمع الفطري سرعان ما يتحول إلى امتنان وشكر للمانح سبحانه، حين ترضى نفسه بالعطية، ويحمد يد المُعطي.

والداعية لابد أن يتضمن خطابه ما يثير طمع العبد في عطاء ربه، وأن يبسط له صور هذا العطاء في الدنيا والآخرة استمالة له، وإرضاء لطبيعته البشرية المحبة للمنح والزيادة.

الانفعال: المحبة والمودة:

بلّغت-نَصَحْت.

الصدق أساس كل اتساق وقبول؛ لأنَّ الكذب خلط منفّر، وقلّب جائر، والنفس بفطرتها تأنس للصدق، وتركن للنصيحة، وتقف على الخبر لتستبين صدقه من كذبه، فإذا استشعرت صدق الخبر، مالت إليه، وانفعلت بانفعال المحبة للناصح؛ لأنَّ النصيحة تنطوي على خير ينال المُخاطب.

والخطاب الدعوي حين يأتي على صورة النصيحة التي فيها تماس وحميمية؛ فإن المدعُو يستشعرها منه، فيقبل عليه، فإذا أظهر خوفه من سوء العاقبة التي تنال مخاطبه إذا أنكر عليه، واستحبابه لهدايته، بادله المُخاطب حبا بحب، واهتماما باهتمام.

الانفعال: الغضب والرفض:

العلامة: أبيت-تولّيت -تَوَلَّوْا

الغضب فيه مجافاة للاتساق النفسي والانفعالي الذي فطرت عليه النفس البشرية، والغاضب فاقد لأهلية الدعوة، ولكل حُكم؛ لأنَّه في ثورة غضبه لا يستبين، ولا يعقل، والغضب يصاحبه سلوك حركي كالإعراض، بتولية الظهر للمُخاطب، قطعا للتواصل، والاستجابة، أو أن يسد أذنيه، أو ينال الداعي بأذي، أو يعبر له عن إزدراء بصورة سلوكية: كتمزيق رسالته، أو ضربه، أو قتله.

لذا كان على الداعية أن يتجنب غضب المدعو، وألا يجاريه غضبا بغضب، والشاهد في رسائله ﷺ أنَّه لم يقل فإن توليت أفعل بك كذا.....،وإنما قال "عليك إثم كذا..."، إشهادا لا إنذارا؛ لأنه ليس عليه هداه، ولا إكراه في الدين.

ومن جملة الانفعالات التي استحثتها العلامات أو نقلت صورتها من خلال الدلالة، نرى توازنا واضحا بين انفعالات: الطمأنينة-الخوف، المودة-الغضب وما يتضمنه من ازدراء-الخضوع-الإباء، بالشكل الذي يعتبر معه ذلك التمايز الانفعالي دالا على وسطية الخطاب واعتداله، وقيامه على محوري الترغيب والترهيب .

من خلال ما سبق يتبين أن مُنطلق الرسائل النبوية ،لم يكن اعتباطيا ،يخلو من تقدير طبيعة المُخاطب، وخصوصية نَسَقِه العَقَدي، فمن خلال الخطاب الرشيد المبني على الدليل حدث التداخل المنشود بين نموذج الإسلام السالم من التحريف، وبين النماذج المُحرفة للأديان الأخرى، بمنهجية قائمة على إزاحة الشوائب، وإحلال الصحيح الثابت، والبناء على المُشترك، وفضِّ الخلاف، فاتّسم بطابع وسطي ومنهجية علمية، وحَمَلَ سمات خطاب دعوي سوي يقوم على المنطق، ويحترم العُرف، خطاب مُسالم، ليس فيه تهجم، يدعو للسلامة، ويتسم بواقعية المعالجة، ويرسم حدود المعاملة في الدنيا، ويبشر بأجر الآخرة، وينذر بالعاقبة، ولا شك أنَّ الوقوف على الطبيعة الفنية لنصوص هذه الرسائل، هو غاية كل ساعٍ لتأصيل الخطاب الدّعوي وتطويره، وهو ما حاولت أن أضع إضاءة في سبيله، ولبنة في بنيانه.

الخاتمة

الحمد لله على بلوغ الأرَب، لولاه ما كان كاتب ولا كَتَب، سبحانه سبحانه، قَدّر، ودَبّر، وهدى ويَسّر، وصلاة وسلاما على سيد البشر، مفتاح كل خير، وعنوان كل بر، من متّن سنته نجاح، وسِيما وجهه فلاح، وقوله على الهدى علامة، مُخاطب المُلوك باللِّيان، وأفصح العباد في اللسان والبيان، وبعدُ،

فقد تعرَّضت هذه الدراسة المتواضعة لقراءة تلك النصوص الشريفة، من خلال المنهج السيميائي مُعضّدا بمناهج أخرى مساندة، من واقع أنَّ المنهج السيميائي بطبيعته يتصل أو يستدعى المناهج الأخرى ويتكامل معها، فلا مناص من شيء من التحليل البلاغي، أو إلمام بالمنهج التاريخي أو النفسي، حتى لا تصبح الدراسة فرعا للمنهج؛ ولتتحقق صفة المرونة في المنهج ذاته، كوسيلة لاكتساب المعرفة، وليس حصرها أو تقييدها.

والحقيقة أنَّ السيميائية مازالت قارة مجهولة تحتاج لاكتشاف وانتقاء، فكثير من جوانبها بحاجة لتنظير، وتأصيل ،وهي بعدُ معرضة لنقد مستمر، مما يجعلها غير مستقرة بشكل كاف، وهذا قد اضطرني في كثير من الأحيان لمباشرة عملية التنظير، والاعتماد على المنطق.

ولِما تتمتع به السيميائية من شمولية، ونظرتها للصور والوحدات التشكيلية كعلامات جاءت مقاربة نقش خاتم الرسائل، كعلامة لسانية، وغير لسانية في آن، فهي على مستوى التشكيل صورة، كما أنَّها تحوى علامات لغوية.

وإذا كان الباحث يضع نفسه مكان القارئ، فإن نقش الخاتم هو أول وأبرز ملحوظ بصري تقع عليه عينه، فصار بذلك مفتاحا للنص، والمفتاح عنوان، والتّقدم حاصل بأسبقية النظر، وبروز الأثر، ومن خلال ذلك قدّمت الدراسة قراءة لنصوص معنونة، فقراءة النص تتضمن إعادة ترتيب وحداته بحكم منهج القراءة.

□

وقد خلصت الدراسة إلى نتائج هي:

١-حَمَل العنوان بُعدا إ شهاريا مُروّجا للنّص، كعنصر جذب فاعل في ا ستمالة القارئ، وأحال على نصه من خلال الإحالة المزدوجة التي توسط فيها النسق المعرفي المُحال عليه في خلفية المُتلقي الدينية، كما أنَّه اختزل النص، وفكّ شفرته، وتعالق معه على المستويات: اللفظية- والدلالية.

٢-العلامة "رسول" في نص العنوان(النص الأصغر) تكررت على مستوى اللفظ، والدلالة داخل المتن، كصورة لتسرب العنوان إلى نصه، كما أنَّ النص في بعض الأحيان ينقسم قسمين متكاملين يجسدان ثنائية :الاستقبال-الإبلاغ الكائنة في العلامة "رسول".

٣-انطوى العنوان "محمد رسول الله" على عدة إحالات مزدوجة وأنساق معرفية وسيطة تداخلت بينه وبين المتن، فهو يحيل للآية "ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"، ويشكل لفظا "أحمد"، "محمد" مغايرة تحمل دلالة، توجه التأويل إلى جهة معينة، بحيث يستشف أن لفظ "احمد" في الآية وصف لا اسما لعلم.

٣-تشاكلت وحدات المتن مع العنوان على المستويات كلها، الصوتية، واللفظية، والدلالية، فنجد تكرار صوت "السين"، وتكرار لفظ "رسول"، وجملة "محمد رسول الله" بأكملها.

٤-بالنظر في بنية المتن بعد تفكيكها وإعادة تركيبها في أنساق، اتّضح هيمنة صيغ المضارعة على بنية الأفعال كصورة للحركية، والتجدد والديمومة، التي يحيا بها النص، بينما قلت صيغ الأمر تخفيفا، وكذلك الجمل الشرطية.

٥-على مستوى بنية الجمل هيمنت الجمل الفعلية أو الا سمية التي يكون خبر المبتدأ فيها جملة فعلية، كصورة لتدعيم افتراضية حركية النص، وفاعليته.

٦-عملت آليات الاختزال وعلى رأسها الحذف عملها، بحيث جاءت الجمل خالية ممّا يمكن أن يُعد حشوا، أو زيادة غير مبررة، وقد تراوح الحذف بين حذف خاضع لمقاييس اللغة وقواعدها، وقابل للا ستعادة من خلالها، وآخر يدخل ضمن المسكوت عنه ،الذي يستدل عليه بقرينة منطقية لا لغوية.

٧-من خلال تفكيك النص وفصل النصوص المُضمّنة التي يتم التناص معها بدرجات بين تضمين جزئي، وكامل، كشفتُ عن الآيات القرآنية المُضمّنة، وحاولت تركيبها ،فحصلت تقريبا على النص ذاته، بمعنى أنَّه تم تشكيله من الوحدات القرآنية، بشيء من النشر، والترتيب؛ لينا سب طبيعة الرسالة ووظيفية أجزائها، وكان هذا تجسيدا مهما لثنائية الإرسال والإبلاغ، ودالا على تشبع النبيﷺ بالنص القرآني، وصدوره عنه، واقتفائه على مستوى التعبير.

٨- تمثلت آليات التوكيد في تكرار اللفظ، أو بحروف التأكيد، أو من خلال التناقض الدلالي المُبرز للمعنى، كما أضيفت بمقدار محسوب، وعملت عملها داخل النص، وأدت وظيفتها بشكل كامل.

٩-اتّسمت الصور البيانية والمجاز بشكل عام بالنُدرة، وجاء استعمالها باقتصاد ناسب اختصارية النص، فغلبت الكناية، تلتها الاستعارة التصريحية بصورة خاطفة، والمجاز المرسل الرامز، وكان لطابع الرسالة الرسمي أثره في ندرة التصوير.

١٠-تحقق التنامي الدلالي من خلال بعض الآليات من منطلق أنَّ الدلالة تنمو بشكل متّسق أو مُتَساوِق مع البنية، وتمثلت في آلية الإجمال والتفصيل، والدينامية النّصية.

١١-حملت نصوص الرسائل أبعادا أيدُيُولوجية مهمة، تمثلت في موقف الإسلام من الأديان الأخرى، ورسمت صورة لطبيعة تداخله مع أنساقها المعرفية، وآلية هذا التداخل.

١٢- عكس تحليل الخطاب في نصوص الرسائل على مستوى الدلالة المعجمية، والانفعالية سمة وسطية واضحة، تمثلت في القَصد(التكثيف الدلالي)، والاعتدال (حس اللفظ)، والتوازنية (ثنائية الألفاظ).

١٣- الخطاب في نصوص الرسائل يحمل أسس الخطاب الدعوي، ويرسم صورة واضحة لدور الداعية، وطبيعة الفعل الدعوي، وفحواه، وأسلوبه.

□

وفي النهاية أوصي الباحثين بالآتي :

١- ضرورة إعمال مناهج البحث الحديثة كالمنهج السيميائي في دراسة نصوص التراث، وسبر أغوارها؛ لِمَزِيَّةِ هذا المنهج في تفكيك النصوص، وإعادة تركيبها، بالشكل الذي يُظهر طبيعة بِنيتها السطحية، والعميقة، ويبرز وحدات تشكيلها، بما يمكِّن القارئ من مُلامسة الدلالة، ويفتح الباب أمام محاكاة هذه النصوص كنماذج للخطاب.

٢- لتشعُّب المنهج السيميائي واختلاف مذاهبه، فإنَّه لابد أن يعمل الباحث على تطوير أو انتقاء مذهب خاص به، ومزجِ المنهج السيميائي بغيره من المناهج في إطار تكاملي، يخدم الدراسة، ويتجلى من خلال التطبيق.

٣- ماتزال الوسطيّة ملمحا مُغرِقا في العموميّة يحتاج إلى تأطير مضموني، وإلى محاولاتٍ جادة للوقوف على معادلات فنيّة ملموسة تتحقق بها هذه الوسطيّة، على مستوى التشكيل الفني، من خلال الألفاظ، والأساليب وغيرها.

٤- لابد من قيام تطوير الخطاب الدّعَوي على أسس منهجية، تُراعي دلالته المقصودة، وكيفية تحقيقها من خلال بنية ذات طبيعة تواصلية، تتسق مع بنية المُتلقي المعرفية، وتتفاعل معها، مع مراعاة المعايير الفنية والنفسية الضامنة لذلك.

وفي الختام، أرجو من الله تعالى أن أكون قد قدّمت بعملي المتواضع هذا ولو شيئا يسيرا، أو تركت علما ينتفع به، أو لفتُّ غيري لأمر فينهض ليتمه، فبعضنا رائد بعض، وكلنا ساع ،والغاية واحدة، هي العلم النافع، والأثر الباقي، سائلا المولى- سبحانه- أن يغفر لي الزلل، ويصحح مني النيّة، وأن يسدد مرماي، ويهدي مسعاي، إلى ما يحب ويرضى، وأن يزيدني علما، وأن يفتح لي، ويسمح، ويعفو ويصفح، إنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا أنسب لنفسي فضلا، أو أدَّعيه، فالفضل بعد الله لأساتذتي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم.

٢-إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي (مدخل لغوي أسلوبي)، د.محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-القاهرة، د.ط، ٢٠١٣م.

٣-الإصابة، ابن حجر، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخر، دار الكتب العلمية-بيروت، ط:١ ،١٩٩٥م.

٤-أصول تراثية في علم اللغة، كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة، ط:١، ١٩٨٥م، ص٢٩٤.

٥-أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، أحمد عزوز، منشورات اتحاد الكتاب -دمشق، د.ط، ٢٠٠٢م.

٦-الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط:١٥، ٢٠٠٢م.

٧- أنساب العرب، ابن حزم، دار الكتب العلمية-بيروت، ط:١، ١٩٨٣م.

٨-إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، محمد الباردي، مركز النشر الجامعي - تونس، د.ط، ٢٠٠٤م.

٩-البداية والنهاية، ابن كثير، ت: علي شري، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط:١ ،١٩٨٨م.

١٠-تفسير ابن كثير، ت:عبدالله عبدالمحسن تركي، دار هجر-الجيزة، ط:١، ١٩٩٧م.

١١-تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ط، تونس، ٢٠٠٨م.

١٢-التناص في الخطاب النقدي والبلاغي (دراسة تطبيقية) ، د.عبدالقادر بقشي، دار أفريقيا الشرق-المغرب، د.ط، ٢٠٠٧م.

١٣-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد احمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، ط١، المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٩٩م.

١٤-حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مج:١، عدد:٣٣.

١٥-الدعوة الإسلامية: أصولها، ووسائلها ،أحمد غلوش، دار الكتاب المصري-القاهرة، د.ط، ١٩٨٧م.

١٦-دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي -المركز الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، ط: ٣، ٢٠٠٢ م.
١٧-زاد المعاد، ابن القيم، ت: شعيب الأرناؤوط، ١٩٨٧م، د.ت.
١٨-سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- م٢ر، ط: ٢، ١٩٧٥م.
١٩-سير أعلام النبلاء، الذهبي، ت:الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة -بيروت،ط:٣، ١٩٨٥م.
٢٠-السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار الشروق-جدة-السعودية، ط١٩٨٩، ١٢م.
٢١-سيمياء العنوان، بسام قطوس، مكتبة كنانة-إربد-الأردن ،ط:١،د.ت.
٢٢-السيميائيّات: مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، دار الحوار-اللاذقية-سوريا،ط:١،د.ت.
٢٣-صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، طبعة طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٤-صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، المكتب الإسلامي، د.ط، د. ت.
٢٥-عالمية الإسلام ورسائل النبيﷺ إلى الملوك والأمراء تأليف: عبد الوهاب طويلة، د .محمد حلواني ، دار القلم ، دمشق / د.ط، د.ت.
٢٦علم البيان، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت-لبنان،د.ط،١٩٨٢م.
٢٧-القراءة النسقي: سلطة البنية ووهم المحايثة، أحمد يوسف ،الدار العربية للعلوم-بيروت-لبنان، ط: ١، ٢٠٠٧م.
٢٨-الكشف عن المعنى في النص السردي :النظرية السيميائية السردية، جوزيف كورتيس، ترجمة: عبد الحميد بورايو، دار السبيل، بن عكنون، الجزائر، د.ط، ٢٠٠٨م.
٢٩-لسان العرب، لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة السابعة، ٢٠١١م .
٣٠-اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، طبعة ديوان المطبوعات الجامعية الثانية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ٢٠٠٥م.

٣١-اللغة الانفعالية بين التعبير القرآني والنص الشعري، عطية سليمان أحمد، الكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي-القاهرة،ط:١ ،٢٠٠٧م.

٣٢-مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد ٢٨، العدد الأول، يوليو / سبتمبر، ١٩٩٩م.

٣٣-معجم السيميائيات، فيصل الأحمر ،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط :١ ،٢٠١٠م.

٣٤-المعجم الكبير، للطبراني، ت: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٤م.

٣٥-مفهوم الإيديولوجيا، عبدالله العروي، ط:٨ ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ٢٠١٢ م.

٣٦-مناهج النقد الأدبي المعاصر: دراسة في الأصول والإشكالات النظرية والتطبيقية، د. صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة ، ط:١، ٢٠٠٨م.

٣٧-منطق السرد-دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، عبدالحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط،١٩٩٤م.

٣٨-النظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط:٣، ١٩٨٥م.

٣٩-نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢، ٢٠١٠ م.

٤٠-الوسطية في الإسلام ،عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، مؤسسة الريان-بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.